الجمـــهوريـــــة الجـــزائريـــــة الديـــمقراطيـــة الشـــعـــبـــيـــــة

جامعة أحمد بن بلة وهران– –

كلية الآداب والفنون



قسم اللغة العربية وآدابها

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الموسومة بـ

آليات القراءة في تفسير الثعالبي

(الجواهر الحسان)

تخصص: تحليل الخطاب الديني

إشراف الدكتور:

عشراتي سليمان

إعداد الطالبة :

***بن يمينة خالدية**

لجنة المناقشة:

أ.د .مصطفاوي	جامعة وهران-1-	رئـــــيسا
أ.د .عشراتي سليمان	المركز الجامعي-البيض-	مشرفا ومقررا
أ.د .بن عبد الله لخضر	جامعة وهران-1-	منـــــاقشـا
أ.د. زعراط محمد	جامعة وهران	منـــــاقشا
أ.د. عباسة محمد	جامعة مستغانم	منـــــاقشـا
أ.د. عباس محمد	جامعة تلمسان	منـــــاقـشا

السنة الجامعية: 2016-2017

بِسْمِ اِللَّهِ اِلرَّحْمَـٰنِ اِلرَّحِيمِ



إلى والديّ...

إلى بناتي و قرّة عيني ...

إليكم ...ثمرة هذا العمل المتواضع.

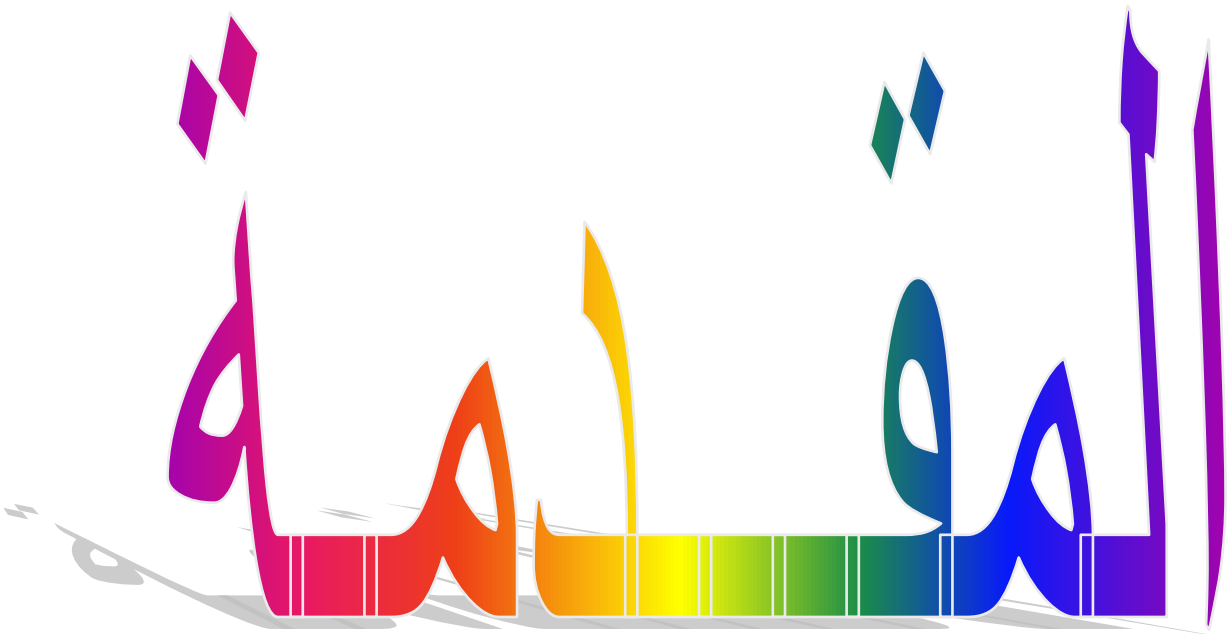
المقدمة

لقد هيأ الله سبحانه وتعالى للأمة الإسلامية علماء سخروا عقولهم في الدفاع عن العقيدة الإسلامية ، وردّ الشبه والزيف عنها، وإبطال مزاعم وادعاءات الخصوم الذين يسعون لضعضعة كياننا القراءاتي، وحجزنا داخل حلقة مفرغة عنوانها البحث عن النص – القراءة.

فأزمتنا اليوم كما يرى محمد الغزالي ليست أزمة أفكار ومذاهب واتجاهات، إنما أزمة منهج وتعامل مع النصوص، ومشكلة قراءات أضاعت الكثير من البحوث في سلة المهملات بحوث فقدت ميزانها في دائرة الفراغ .

وبالرغم من امتزاج الثقافات وتعدد المفاهيم، وانفتاح اللغة على اللغة إلا أننا بأمس الحاجة إلى قراءة تغيّر لا تتغيّر قراءة تبني لا تقوّض قوّة الأركان، بأمس الحاجة إلى علماء يعمّرون المكتبة العربية الإسلامية، ونفتخر بهم ونشدّ على أزرهم. تلك كانت إشكالية بحثي أن أجد من الرجال عبد الرحمن الثعالبي ، قراءة مؤسسّة في عالم التفسير يفتقدها المتلقي و القارئ ، و أختاره موضوعا لي محاولة أن أغلّط جمهور الباحثين و القراء الذين أغفلوا في جانب الثعالبي منهج التفسير، بالرغم من اشتهاره في عواصم البلاد المشرقية و المغربية ، ولم يتصوروه إلا ذلك الولي الصالح يأتيه الناس من كلّ فج عميق .

وأؤكد أنه منهج في التفسير ، و باع في القراءة .

ذلك ما حاولت أن أقرأه في هذه السطور معتمدة على كتابه فخر الأجيال " الجواهر الحسان " الذي وإن أجمع المفسرون على أنه مختصر كتاب ابن عطية ، و نسخة طبق الأصل منه ، يبقى من الجواهر الحسان التي يتقلّدها المغرب و يفخر بها ، و يقف ندا أمام بلاد المشرق ، فليس المشرق من يلد الرجال و يعلم الأجيال ، إنه المغرب الذي ساد العالم و حقق مالم تحققه جميع الأجيال والأقطار ، و إنه الثعالبي الذي أكد أن المغرب لا تنقص له قيمة فهو بلد العلم و الدين و الثقافة ، و مهد الحضارات و سجل التاريخ .

هذا ، و اسباب أخرى دفعت إلى اختيار هذا الموضوع منها :

- أهمية علم العقيدة الإسلامية و علم التفسير هو أجل و أشرف العلوم .
- محاولة تثمين جهود المفسرين المغاربة ، و كشف دورهم الدؤوب في عملية التفسير.
- إبراز مكانة الثعالبي و شخصيته المفسرة ، و الإطلاع على منهجه الوسطي في قراءة العقيدة الذي يستند على مصدرين أساسيين هما : الكتاب و السنة ، مما كان مانعا من تأثر الثعالبي بمناهج القراءة الحداثية .

وقد لاقتني وأنا أبحث في هذا الموضوع بعض الصعوبات تمثلت في قلة المراجع والمصادر المختصة التي تفي الموضوع، و إنتقلت بين الفقه واللغة والتاريخ والحديث، ولم يثني هذا عن تثمين النقص وتفعيله حتى يخرج بحثي في أزهى حلة وأجمل ثوب بتشجيع من مشرفي وأبي الذي أغذقني بحنان القراءة وإستقراء الحقيقة،وغرس في روح الوطن والمغربية.

أما المنهج الذي اعتمدته فهو نقدي تحليلي تتبعت من خلاله الأسس التي بنى الثعالبي عليها قراءته وتعامله مع القرآن.

تناولت هذا الموضوع على خطة قسمتها إلى أربعة فصول، تطرقت في الفصل الأول بعد مقدمة الموضوع إلى نشوء التفسير في المغرب الإسلامي أسبابه ومراحله وإتجاهاته وطرقه، وكذا قراءاته من خلال بعض الشخصيات التي سبقت أو عاصرت فترة الثعالبي.

كما عرضت أهم الجوانب التي ساعدت في تكوين شخصية الثعالبي إجتماعيا وثقافيا وعلميا ودينيا مما إنعكس على آليات قراءاته للقرآن الكريم.

أما في الفصل الثاني فتناولت آليات قراءات الثعالبي في تفسيره بالمأثور، وموقفه من الإسرائيليات وآيات الأحكام، وكذا النسخ والمتشابه.

وفي الفصل الثالث حاولت أن أجلي قراءة الثعالبي للمدارس الأخرى المتمثلة في المدرسة الصوفية ومدرسة التفسير بالرأي من خلال إشاراته المتميزة وتفنيداته المؤسسة، ومواقفه الاجتهادية التي تجلت أكثر في بعض الموضوعات التي اهتم بها ووضعها مفاتيح لقراءاته.

ثم ارتأيت أن أقارن في الفصل الرابع بين منهج الثعالبي في قراءته للقرآن الكريم ، ومنهج إبن عطية مبينة أوجه الإتفاق والخلاف والتشارك بينهما لأصل إلى أن الثعالبي تأثر إلى حد ما بمتقدميه من المفسرين سواء المشارقة أو المغاربة (أكسب منهجه صبغة). فلم يشأ أن يقف بعيدا عن هؤلاء وفضل أن يقرأ هذا وذاك (يصل إلى قراءة)، ولا يبخل علينا باجتهاداته ونفحاته وترجيحاته.

وفي الأخير ختمت بأهم النتائج التي وصلت إليها من بحثي في الموضوع.

ولئن أخطأت، أو تغافلت عن ما يهم هذا الموضوع فهو خارج عن إرادتي وتوقي، وبالله التوفيق والسداد.

الفصل الأول

التفسير في المغرب الإسلامي بين النشأة وميلاد العلامة

➢ **نشأة علم التفسير في منطقة غرب إفريقيا:**

واكبت نشأة علوم التفسير عصر الفتوحات الإسلامية، وكانت منطقة غرب أفريقيا محلا اختاره الصحابة متسعا ومستقرا لهم يحققون فيه مصلحتهم في نشر العلوم وتعليم أهل المنطقة العلوم الدينية.

وقد وفد بعض التابعين منهم أبو عبد الرحمن بن رباح اللخمي، وأبو سعيد كيسان إلى أفريقيا في النصف الثاني من القرن الأول وقاموا بتفقيه وتعليم أهلها علوم القرآن والحديث وعلم القراءات وآيات الأحكام مما استقوه من الصحابة مثل ابن عباس.

وكان مقر حلقاتهم القيروان التي شهد أبو إسحاق الجينياني بدورها في تفقيه الناس، وإحياء العلوم التفسيرية "القيروان رأس وما سواها جسد، وما قام برد الشبه والبدع إلا أهلها، ولا قاتل وقتل على إحياء السنة إلا أئمتها"[1].ووصفها مقديش بأنها "منبع الولاية والعلوم لأهل المغرب، أصل كل خير، والبلاد كلها عيال عليها، فما من غصن من البلاد المغربية إلا منه علا، ولا فرع في جميع نواحيها إلا عليها ابتنى كيف، لا؟ ومنها خرجت علوم المذهب، وإلى أئمتها كل عالم ينسب، ولا ينكر هذا خاص ولا عام، ولا يزاحمها في هذا الفضل أحد على طول الأمد والأيّام"[2].

كيف لا وهي التي تأسست فيها مدرسة للتفسير في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني على يد عكرمة تلميذ ابن عباس، تهتم بتعليم التفسير خاصة التفسير

[1] – محمد بن رزق بن طرهوني التفسير والمفسرون في غرب افريقيا. ج1. دار ابن الجوزي المكتبة العربية السعودية. ط1.ص 49 .

[2] –نفسه. ص49 .

بالمأثور القائم على علم ابن عباس، و نشر العلم في الحديث بالاستناد على ما نقل من مدارس مشرقية إسلامية في المدينة والعراق.

تلك المدرسة التي ساعد على إرساء دعائمها المعتمدة على الأثر واللغة دخول بعض المفسرين من الصحابة إلى المنطقة، وازداد نشاطها العلمي بغزوة ابن حديج سنة 45هـ التي دامت أربع سنوات وأدت إلى إسلام البربر ، قال المالكي:"فشد إليها الناس المطايا من كل مكان وعمرت بفضلاء الناس من الفقهاء والمحدثين والمتطوعين والعابدين والنساك والزاهدين وأعز بها الإسلام وأهله ودمغ بها أهل النفاق والأهواء والشك والضلالة، ثم كانت نقطة الانطلاقة بالقيروان إنشاء جامعها الذي كان مسرحا لتدريس العلم على يد الصحابة والتابعين الذين قدموا مع عقبة ومنهم عبد الله بن عمر الذي روى عنه يزيد بن قاسط الإفريقي وميسرة الزرودي، وجاء قوم إليه وهو بإفريقية فلما أرادوا فراقه قالوا: زودنا منك حديثا ننتفع با [1].

ولعل أقدم نص يشير إلى تعليم القرآن بالمنطقة ما رواه غياث بن أبي شبيب قال: كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر بنا ونحن غلمة بالقيروان فيسلم علينا بالكتاب، وكان وجود سفيان بالقيروان بين سنوات (60هـ و78هـ) [2].

هذا، وقد كللت الفتوحات الإسلامية بنشاط فقهي وعلمي ساعد على استقرار الإسلام بين البربر الذين تعلموا العربية والفقه، ومبادئ الإسلام على يد ثلاثة عشر فقيها من التاريخ بتكليف من حسان بن النعمان ،إذ عجّت القيروان خاصة الأحياء الرئيسية بالمساجد والكتاتيب حوالي ثلاثمائة مسجد في ثلاثين سنة من

[1] -محمد رزق بن طرهوني. م. س.ص 50.

[2] - نفسه .ص 498.

خلال الرسالة التي وجهها حنظلة بن صفوان المولىّ من قبل هشام بن عبد الملك سنة 124ه على إفريقيا إلى أهالي طنجة عند ثورتهم عليه، وتتضمن عشرة مواضيع أساسية (الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، التبشير بالجنة، إنذار بالنار، إخبار عن الأولين والآخرين، ومحكم القرآن يعمل به، ومتشابهه يؤمن به، وحلاله أمر يؤذن وحرامه أمر أن يتجنب وفيه أمثال ومواعظ، فمن يطع الأمر وتزجره الزاجرة فقد استبشر بالمبشرة وأنذرته المنذرة، ومن يحلل الحلال ويحرم الحرام، ويزد العلم فيما اختلف فيه الناس إلى الله، مع طاعة واضحة ونية خالصة، فقد أفلح وأنجح وحيا حياة الدنيا والآخرة."[1]

مما يبين اتجاه التفسير في تلك المرحلة (العمل بالمحكم والإيمان بالمتشابه، ورد ما اختلف فيه الناس إلى الله تعالى) .

وكان من تلامذة هذا الاتجاه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، وعبد الله بن فروخ الفارسي.

كما ظهر على يد يحي بن سلام (ت 200هـ) أول تفسير للقرآن في القيروان وتلقى على غرار مشاهير التفسير عن الزمخشري وابن عطية والرازي وأبي حيان.

ونشط المذهب المالكي في هذه الفترة, وأنشئت الكتاتيب، لكن فيما بعد أغلق باب الاجتهاد وراج التصوف (عبادة الأولياء والصالحين) الذي كان محميا من السلطة ليظهر علماء منهم ابن خلدون ، والحافظ بن سيد الناسكان الذين كان

[1] - أبو بكر عبد الله المالكي .رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم. ج1. دار الغرب الإسلامية. بيروت– لبنان .1403ه. ص67.

الدرس عندهم يسمى دولة "ذكر العبدري في رحلته أنه سمع دولا من التفسير عن اللبيدي وابن الغماز، وقد ظهرت التفاسير في العصر الحفصي غير تفسير ابن عرفة المتقدم تفسير ابن بزيزة عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد القريشي التيممي التونسي (ت674 هـ) الذي جمع فيه بين تفسيري ابن عطية والزمخشري وإعراب القرآن لأبي إسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد القيسي الصفاقسي 752 ه، وكانت تدرس في ذلك العصر مشاهير التفاسير مثل الزمخشري، وابن عطية والفخر الرازي وأبي حيان"[1].

أما في العهد المريني (الدولة الزيانية, بنو عبد الواد) فبزغ مفسرون خاصة في الصقع السوسي منهم أبو يحي الكرسفي (ت683 هـ).

وكان من مزايا عصر السعديين الاعتناء بالتفسير وتعدد المفسرين مثل ، الحاج محمد الشنقيطي (ت 963 هـ) وعبد الرحمن القصري (ت 1036 هـ) وعلي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماني (ت 1054 هـ)، وبلقاسم بن إبراهيم الدكالي المشترائي (ت 978 هـ) وهو إمام من أئمة القراءات السبع.

ولم يكن للتيارات الجديدة في العهد التركي حظ في التوسع في هذه المنطقة حيث أغلقت في وجهها الأبواب وانغلق التفسير فقصر على المختصرات الفقهية مثل تفسير أبي السعود وإعراب القرآن" لأبي زيد الجشتيمي (ت 1269 هـ) التي

[1]– الطاهر المعموري.جامع الزيتونة ومدارس ا لعلم في العهد الحفصي والتركي. الدار العربية للكتاب . ص33.

غلب عليها التبعية والتقليد ومجرد الشرح والتعليق للمختصرات الفقهية (دراسة الكتب) نظرا لركود البلاد وعدم استقرارها.

لكن بعد استتباب الأمن نهض العلم. وعني بالتفسير وكان تفسير أبي السعود المتضلع في علم الشريعة وأبي عبد الله محمد زيتونة من التفاسير التي لاقت العناية والاهتمام.

- **اتجاهات التفسير بالمنطقة و طرقه :**

يرجع ظهور اتجاهات التفسير بالمنطقة إلى عدة أسباب منها:

1- الفترة الزمنية الطويلة التي دامت حوالي أربعة عشر قرنا.

2- ضخامة المساحة المدروسة التي شملت مناطق الغرب الإسلامي كله تقريبا.

وقد مثل مدرسة التفسير بالمأثور يحي بن سلام وهو أقدم تفسير بالمأثور، يحي بن سلام الذي ظهر في بيئة إفريقية لم تكن تعنى بهذا المجال وتفقه على يد مشارقة من البصرة، يقول الطاهر المعموري وهو يقرأ في تفسير ابن سلام إن "مشاهير الإفريقيين لم تكن البيئة هي التي دفعتهم إلى وضع تفاسير اشتهرت بنسبتها إلى إفريقية بل الأجواء الخارجية من شرقية وأندلسية هي التي بعثت فيهم تلك الهمة، فأبو زكريا يحي بن سلام ثعلبة البصري الذي وضع تفسيرا مشهورا لم تساهم البيئة الإفريقية في تكوينه لأنه تفقه على علماء المشرق. فهو بصري قبل أن يكون إفريقيا، إنها المدة التي قضاها بإفريقية ثم تدريسه الكتاب جعل الأفارقة يدعون أنه تفسير إفريقي"[1].

[1]-الطاهر المعموري.م. س. ص 33.

وكان تفسير الطبري متفردا عن تفسير ابن سلام بأمور عدة منها تدخله بالترجيح والنقد في الروايات التفسيرية والقراءات، وكذا اهتمامه الكبير باللغويات والاستشهاد بالشعر وغير ذلك.

هذا، وتطور التفسير بالمأثور على يد المهدوي ومكي بن أبي طالب الذي التزم بنقل الصحيح من الأخبار وحذف الأسانيد المطولة و في هذا يشير,حاجي خليفة بقوله:"ثم انتصبت طبقة إلى تصنيف تفاسير مشحونة بالفوائد محذوفة الأسانيد مثل أبي إسحاق الزجاج وأبي علي الفارسي ومثل مكي بن أبي طالب وأبي العباس المهدوي .[1]

ومن العلماء الجهابذة الذين ظهروا في هذا النوع من التفسير عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي بكتابه "الجواهر الحسان"،و الأمين الشنقيطي في كتابه "أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن" وهو أول من سلك هذا الاتجاه من التفسير.

أما مدرسة التفسير بالرأي فانقسمت إلى قسمين محمود ومذموم، فالمحمود اهتم بالجانب اللغوي، لغة القرآن وقواعدها التي كانت تدرس في المراحل الأولى من التعليم (الكتاتيب) من زعماء هذه المدرسة أبو عثمان سعيد بن الحداد بـــ"توضيح المشكل في القرآن" وكتاب "الاستواء" وأبو القاسم إبراهيم بن عثمان بن الوزان عالم اللغة بالقيروان،حيث قيل "إنه فاق المبرد وثعلبا وابن النحاس المصري في هذا المجال، وأخذ الشافعي في تفسيره لقوله عز وجل "ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا" من سورة النساء الآية 03 وخطّأ في فهم معنى الآية

[1]– مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنيفي. كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون.دار الكتب العلمية بيروت–لبنان.1992. ص431.

إذ فسرها بقوله:" أن لا يكثر عيالكم فقال: أخطأ، يقال: عال يعيل: إذا افتقر، وأعال: إذا كثر عياله، وعلا يعول: إذا زاد، ومنه عالت الفريضة وعالني الشيء يعولني، إذا أثقلني، ومنه قول الخنساء: ويكفي العشيرة ما عالها، ويقال: عال بعيل عولا، إذا تبختر،...فذكر كلاما فيما يشبهه من أفعال"[1]

وقد أثرت مدرسة المعتزلة في هذا الاتجاه من التفسير مستغلة سعة اللغة وانفتاحها، و مؤولة في بعض النصوص الشرعية حسب الأهواء خاصة ما تعلق بالمتشابه الذي جعل وسيلة للخوض بالآراء. وكانت أهم قضية تنازع فيها علماء هذه المنطقة "المجاز في القرآن، حيث ظهرت كتب في الشأن منها ما اعتمد على المجاز مثل "نفي جواز المجاز في المنزل للإعجاز" للطاهر بن عاشورالذي اهتم بالجانب البياني، ومنهم ما اهتم بالأشباه والنظائر مثل "التصاريف" ليحي بن محمد بن يحي بن سلام (ت 280 هـ) .و منها أيضا ما اهتم بالغريب في القرآن و إعراب القرآن لكل من محمد بن الحسن المجاصي (ت 1103هـ) ،والصفاقسي والجشتيمي.

ناهيك عن بعض المفسرين الذين اهتموا بالجانب الفقهي أمثال المنذر بن سعيد وابن العربي والقرطبي ومحمد بن سحنون وهو أقدم من ألف في أحكام القرآن (ت 256 هـ) . وموسى بن حبيب القطان (ت 306 هـ).

أما القسم المذموم فتمثل في الاتجاه الصوفي الإشاري سواء النظري الفلسفي أو الإشاري الذي سلكه بعض العلماء أمثال ابن عربي والحرالي والعفيف التلمساني وأيضا ابن عجيبة وعبد الرحمن بن يوسف القصري.

[1]– محمد بن رزق بن طرهوني. م.س.ص 509.

كما سلك بعضهم اتجاه الصوفية المطلقة أمثال محمد المهدي بن سودة في كتابه "هداية المنان في تفسير الفاتحة" وعبد الله بن محمد المرجاني (ت 699 هـ).

ومن الذين سلكوا مسلك الخوارج والشيعة عبد الوهاب بن رستم وهود بن محكم الهواري والورجلاني وأطفيش ،والشيعة الباطنيين أمثال النعمانبن حيون والعفيف التلمساني ، والذين نهجوا منهج المعتزلة والأشاعرة التأويلي مثل ابن عاشور.

وإن راجت حركة المعتزلة في عهد الأغالبة فلم تلق رد فعل المغاربة الذين وقفوا ضدها مدافعين عن السنة بردهم على مخالفات الزمخشري، من هؤلاء عبد العزيز بن بزيزة (ت 662 هـ) الذي جمع في تفسيره بين مشكلات الزمخشري وابن عطية، وأبو علي السكوني (ت 716) ووالده أبو بكر (ت 646 هـ) مثل ما يوضح السلاوي وهو يتحدث عن أهل إفريقيا ونقاء عقيدتهم ،وسنتها التي يراها أطهر العقائد بالرغم من اختلاف التيارات والصراعات المذهبية والتأويلات "فبعد أن طهرهم الله تعالى من نزعة الخارجية أولا، والرافضة ثانيا" والمعتزلة ثالثا أقاموا على مذهب أهل السنة والجماعة مقلدين للجمهور من السلف رضي الله عنهم في الإيمان بالمتشابه وعدم التعرض له بالتأويل مع التنزيه عن الظاهر وهو والله- أحسن المذاهب وأسلمها"[1].

و من نفائس الكتب في هذه المنطقة "الدرّ النفيس في تفسير القرآن بالتنكيس" لمحمد عبد السلام الدرعي الناصري (ت 1239 هـ) و"السابق اللاحق" لمحمد بن

[1]- محمد بن رزق بن طرهوني.م.س.ص465

عبد الواحد الدكالي (ت 763 هـ) و"بدع التفاسير" لعبد الله بن محمد الصديق الغماري الذي ذكر فيه كثير من الانحرافات في التفسير، وركز على نوعين من التفاسير أولهما: تفاسير المعتزلة أمثال أبي مسلم الأصفهاني والرماني والجبائي والزمخشري، وثانيهما: تفاسير بعض المعاصرين مثل محمد فريد وجدي والخطيب والدمنهوري وعبد الجليل عيسى ومحمود شلتوت وعبد الوهاب النجار،ومنه يرى عبد السلام الكنوني "أن الطابع المميز للمدرسة القرآنية بالمغرب أولا تهتم بتوثيق النص عن طريق العناية بالقراءات إسنادا ونقلا وحفظا ودراسة و ثانيا تشغل في التفسير بفهم النص إعرابا وناسخا ومنسوخا وثالثا: تتجه إلى تفسيره وتدبر معانيه واستخلاص أحكامه"[1].

ومنه، فقد مرّ التفسير في هذه المنطقة بثلاث مراحل هي:

1- مرحلة التلقي والرواية عنكبار التابعين.

2- مرحلة الانفتاح على المشرق والرحلات المتعددة إليه للتوسع في العلوم.

3- تدريس التفاسير المروية عن المشرق.

4- التأليف والتفسير.

و اتخذ عدة طرق وأساليب للانتشار تمثلت أساسا في المساجد مثل جامع عقبة الذي تأسسّ في غزوة عقبة الأولى، واهتم بنشر علوم التفسير والحديث بين البربر

[1]- محمد بن رزق بن طرهوني .م س ص. 515.

وبعد غزوة عقبة الثانية 62 ه، أوصى عقبة أولاده والمسلمين بعدم رواية الحديث إلا عن الثقات، وعرفت القيروان نوعا من الاستقرار عاش الناس في كنفه مدة اثني عشر عاما. كما عاش فيه الصحابة حوالي خمس وعشرين سنة شغلوها بنشر العلم و تنشيط رسالة المسجد

ومن الطرق أيضا – قصور الرباط – وهي عبارة عن حصون مراقبة وحماية من العدو القادم من البحرقام بإنشائها بعض الولاة العباسين منهم هرثمة بن أعين (ت180 هـ) في منتصف القرن الثاني للهجرة، وقصدها العلماء في شهر رمضان للاعتكاف وتعليم الناس. فضلا عن نشاطهم الكبير في نشر الإسلام منهم المفسر محمد بن يحي بن سلام (ت262ه) شيخ السنة بالقيروان، ومحمد أبو بكر بن اللباد (ت333 ه).

كما خصصت حوانيت العلماء لتعليم القرآن مثل حانوت ربيع القطان في عهد بني عبيد قال عياض "وكان جعل على نفسه ألا يشبع من طعام ولا نوم حتى يقطع الله دولة بني عبيد وكان مع ذلك ملتزما في حانوته يبيع فيه القطن، وفيه يأتيه من يطلب منه ويسأله"[1]

لكن بعد خراب القيروان وانتهاء عصر العبيديين وحلول دولة المرابطين والموحدين تطورت العلوم الإسلامية من قبل علماء ومفسرين منهم أبو الحسن علي بن محمد الغرناطي نزيل مراكش (ت 577هـ)، ومحمد بن علي بن الجوزي السبتي (483 هـ)، وعبد الجليل بن موسى الأنصاري الأوسي (ت

[1]– محمد بن رزق بن طرهوني.م.س.ص504.

608هـ). وتأثرت الحركة الفكرية بظروف و أوضاع غير مستقرة بتقلباتها السياسية والاجتماعية.

فعصر الولاة (96 هـ- 184 هـ) و هو بين زمن الفتح و قيام الدولة الأغلبية تميز بقيام دولة الأدارسة الأولى في المغرب الأقصى بأوّل الولاة محمد بن يزيد القرشي (96-99هـ)، ثم إسماعيل بن أبي المهاجر (99-101هـ)الذي عين من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز، وبترابط العرب بالبربر المسلمين و كثرة المساجد والكتاتيب.وكذا حرص عمر بن عبد العزيز على تفقيه أهل أفريقيا، ودعوتهم إلى الإسلام حيث حشد لهم مجموعة من التابعين الثقات والعلماء الذين اختاروا أن يستقروا بالقيروان بعد ما ساء فيها الإسلام.

لكن بعد وفاة هذا الخليفة العادل توقف المد العلمي خاصة بعد عزل إسماعيل بن أبي المهاجر الذي ولاّه عمر بن عبد العزيز من قبل يزيد بن عبد المالك ليتولى بعده يزيد بن أبي مسلم وهو كاتب الحجاج ،بيد أنّ ظلمه وسيرته السيئة في تعامله مع البربر، وفرض الجزية عليهم وعلى من أسلم من أهل الذمة واستمرار التعامل التعسفي الظالم في خلافة بشر بن صفوان الكلبي وعبيدة بن عبد الرحمن السلمي أدى إلى استياء البربر الذي ولّد فيهم النزعة الخارجية في أفريقيا والمغرب فتفرقوا بعد ما كانوا أسمع الناس وأطوعهم يقول الطبري "فما بربر أفريقية من أسمع أهل البلاد وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك فلما دب إليهم دعاة العراق واستثاروهم شقوا عصاهم، وفرقوا بينهم إلى اليوم، وكان من سبب تفريقهم أنهم ردوا على أهل الأهواء، فقالوا: "إنا لا نخاف الأئمة بما تجني العمال ولا نحمل ذلك عليهم فقالوا لهم، إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك فقالوا لهم: لا نقبل ذلك حتى نبورهم (أي نختبرهم)، فخرج ميسرة المطغري زعيم الصفرية في

بضعة عشر إنسانا حتى يقدم على هشام، فطلبوا الإذن فصعب عليهم، فأتوا الأبرشي وزير هشام بن عبد المالك، فقالوا: أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا ويجنيه فإذا أصاب ثقلهم دوننا، وقال: تقدموا، وأخر جنده، فقلنا تقدموا، فإنه ازدياد في الأجر ومثلكم كفى إخوانه، ثم إنهم عمدوا إلى ما شيتنا، فجعلوا يبقرونها على السخال يطلبون القراء الأبيض لأمير المؤمنين، فاحتملنا ذلك، ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا، فقلنا: لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون فأحببنا أن نعلم عن رأي أمير المؤمنين ألهم ذلك أم لا؟ قال: نفعل، فلما طال عليهم ونفدت نفقاتهم كان وجههم إلى إفريقية، فخرجوا على عامل هشام فقتلوه واستولوا على أفريقية"[1].

ومن ثمت دخلت بعض الفرق إلى المغرب من قبل عكرمة مولى ابن عباس منها الإباضية نسبة إلى عبد الله بن إباض المري، والصفرية نسبة إلى زياد بن الأصفر

و كانت الثورات الافريقية سنة 122ه من التقلبات السياسية التي دامت أكثر من ثلاثين سنة تمكن من خلالها الخوارج من إباضيين وصفريين من الاستيلاء على القيروان، والإطاحة بحكومتها فأثر هذا على نشاط الحركة العلمية ؛حيث انشغل الناس عن طلب العلم وجمدت العقول حتى كان العالم يموت بعلمه لا يعلمه ولا ينشره إلا قدرا قليلا مما رحمهم الله واهتموا بالعلم مثلما يقول الإمام سحنون "كان من يحمل العلم يبقى فيصدره لا يسألونه عنه فيموت به، مثل عبد

[1]– أبو جعفر محمد جرير الطبري. تاريخ الطيري تاريخ الأمم والملوك.ج4. توزيع دار الباز عباس أحمد الباز.مكة المكرمة ص 254.

الرحمن بن زياد بن أنعم (ت 161 هـ، بقي في صدره لا ينشر عنه ولا يعرف"[1].

لكن سرعان ما استرجعت الحركة العلمية نشاطها من جديد في القيروان التي عجت بالعلماء والفقهاء خاصة في رواية الحديث ،وقد أسفرت معركة فخ التي دارت بين آل البيت والعباسيين عن فرار ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي إلى مصر مع مولاه راشد، وتوجهه إلى المغرب وبالضبط إلى القيروان ثم تلمسان وطنجة ثم رجوعه إلى أوليلي 172هـ، والتفاف قبائل البربر من صناهجة ولمتونة والملثمين في إقليم شنقيط حوله ليخلفه بعد قتله ابنه ادريس الثاني الذي بويع من مختلف أقطار المغرب وإفريقيا.

أما عصر الدولة الأغلبية ودولتي الخوارج (المدرارية والرستمية) فدام ما يزيد عن قرن من الزمان (184 – 296 هـ) في المغرب الأوسط ، وتميز بكثرة الفتن والانتفاضات التي أسفرت عن تطور علمي حضاري وعمراني إلى أن ساد الأمن والاستقرار، وتخلصت الدولة من فتن الخوارج فأسس الصفرية دولتهم المدرارية بسجلماسة سنة (140 هـ – 296 هـ)، أما الإباضيين فأسسوا دولتهم الرستمية بتهرت، وفيها انتشر مذهب الاعتزال بإفريقيا الذي نشأ عن صراع وقع بين واصل بن عطاء والحسن البصري حول موضوع مرتكب الكبيرة، اعتزل فيه واصل المجلس وهو بين منزلتي الكفر والإيمان، وبعث في بداية القرن الثاني عبد الله بن الحارث رسولا إلى أفريقيا يدعو دعوته. ليتولى بعض ولاة الأغالبة هذا الفكر الاعتزالي، وتدرس في جامع عقبة نظرياتهم الاعتزالية التي وصلت إلى

[1]– محمد بن رزق بن طرهوني.م.س.ص56.

حكام الأدارسة فتبنوها،غير أن بعض الدعاة الإفريقيين قاوموا هذا الاعتزال بالرد على معتنقيه ،والإفتاء ببطلانه حتى استطاعوا أن يردوه عنهم، ويخرجوه من إفريقيا خاصة بعد قيام دولة بني عبيد التي مثلت عصر الاستبداد في عهد إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب (261- 289 هـ) وهو بداية لسقوط الدولة الأغلبية.

في هذه الفترة ظهرت ثورة جديدة ضد ظلم إبراهيم بن الأغلب وهي دعوة الشيعة الإسماعيلية بين قبائل البربر.

وقد شهدت الحياة العلمية في هذا العصر تطورا وعمرت طويلا، وكان المذهب الحنفي هو السائد بين الأغالبة الأمراء باعتباره المذهب الرسمي للدولة العباسية مما ولد صراعا بين العلماء المالكيين والأمراء الأغالبة الحنفيين منهم محمد بن عبدون الذين فضلوا أن يكون قضاتهم من نفس المذهب حتى ينكلوا بالعلماء المالكيين، لكن العلماء وقفوا لهم بالمرصاد ورفضوا إغراءاتهم من أجل واجبهم تأسيا بالإمام مالك الذي جاهد من أجل العلم ورفض السلطان، فراحوا يوظفون منازلهم حلقات للتدريس ونشر العلم مثل حلقة الإمام سحنون العظيمة التي داره.

فلم يكن هذا التطور العلمي الحاصل نتيجة تشجيع الأمراء الأغالبة ،بل كان من اجتهاد العلماء وتضحياتهم واستغلالهم الحكيم للظروف المتاحة ،كما لم يكن للحكومة القيروانية تدخل في الناحية العلمية ؛.إذ كانت تعقد حلقات الإباضيين والصفريين والمعتزلة العلمية في جامع عقبة لنصف قرن، دون أن تتدخل الحكومة في ذلك إلى أن جاء الإمام سحنون.

هذا، وقد نشطت الحلقات العلمية في المساجد في عهد الأغالبة بمذهبيها الحنفي والمالكي . وزاد في تثمين هذه الحلقات الاستزادة من علماء المشرق عن طريق الرحلات المتكثفة فكثرت تصنيفات العلماء مثل يحي بن سلام ومحمد سحنون على الموطأ وكتاب الحجة وفيه رد على المعتزلة والقدرية وكتاب الاستواء لسعيد بن الجداد. حتى جاء عهد الشيعة الإسماعيلية **(296-362 هـ)** الذي تميّزبقيام دولة الأدارسة الثانية في المغرب الأقصى، فبعد حروب دامت أكثر من خمس سنوات تمكن أحد دهاة العبيديين[1] من طرد الأغالبة ودخول القيروان 296 ه، وإخراج عبيد الله من سجنه بسلجماسة ثم دخول إفريقيا 297 ه و القضاء على الدولة الرستمية الإباضية في المغرب الأوسط 296ه، كما تمكن الباطنيون من القضاء على بلاد الأدارسة الأولى تماما 319 هـ والدولة المدرارية الصفرية 349هـ، وعاش أهل السنّة في هذه الفترة اضطهادا من العبيديين و انتشرت في حكم الإسماعيلية البدع والضلالات بالرغم من ترصد علماء السنة لهم والدعوة إلى الإباحية وتعطيل الشرائع وإسقاط الفرائض وسب الصحابة، كما منع العلماء من نشر العلم وتفقيه الناس في المساجد وحرموا من الفتوى بمذهب مالك، وصودرت مصنفاتهم وأتلفت واقتصر نشر العلم وتعليم الناس على بعض قصور الرباط ودور العلماء ليدوم هذا الحكم الظالم ستا وثمانين سنة.

[1]- العبيديون ينتمون إلى الطائفة الإسماعيلية من الرافضة، وهم القائلون بإمامة إسماعيل بعد أبيه جعفر الصادق، يلقبون بالباطنية والملاحدة وينتسب عبد الله أول ملوك هذه الطائفة إلى آل البيت زورا وبهتانا والصحيح أنه من ولد عبد الله بن ميمون القداح.

➢ **أثر التفاعل بين أهل المغرب والأندلس وأهل المشرق في نتاج التفسير:**

بدأت العلاقة بين منطقة المغرب الإسلامي و المشرق منذ حركات الفتح الإسلامي .

ففي منتصف القرن الثاني نشطت الحركة العلمية، فأخذ أهل المنطقة يستقون مصادر علومهم من المشرق يقتبسون ما يتعلق بالعلوم الإسلامية، و شغفوا بقراءة تفسير الإمام مالك بن أنس الذي كان إقبالهم عليه كمحدث المدينة، و كمذهب وحيد يعتمد على الحديث كما أخذ عنه مفسرون منهم عبد الله بن فروخ وهو من الذين رحلوا إلى المشرق وأخذوا من سفيان الثوري والأعمش وابن جريج ثم عادوا إلى القيروان وأقاموا بها.وكذا موسى بن معاوية الصماديجي الذي أخذ عن سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح، وكان هذا الأخير صاحب أول تفسير مسند له أثر في الروايات، وعلي بن زياد الذي كان له دور في جامع سفيان الكبير والأوسط، وأسد بن فران الذي أخذ عن مالك ومحمد سحنون ومحمد بن سعيد الفاسي (ت 778 ه) ومحمد بن عرفة الورغمي وسفيان الثوري الذي روى عنه الكثير من أهل القيروان، و محمد بن الحسن الشيباني الذي أخذ عنه في الفقه والتفسير، وسليمان بن سالم وأبو الربيع القطان (ت 281 هـ) ومحمد عبد الكتاني (ت 382 هـ)، ومحمد تقي الدين الهلالي (1407 هـ).

كما قدم بعض أهل العراق إلى القيروان ونشروا فيها العلم، وأدخلوا مصنفات مثل عكرمة مولى ابن عباس ،ومحمد تقي الدين محمد اطفيش الإباضي (ت 1385) .فضلا عن يحي بن سلام البصري الذي كان محدثا بالقيروان وولده محمد، وكذا أحمد بن حنبل من أهل السنة، أما الذين دخلوا إلى الشام فعلي بن

أحمد الحرالي (ت 637 هـ)، وعلي بن عبد الله بن ناشر الوهراني (ت 615 ه) وسليمان بن علي العفيف التلمساني (ت 690 هـ).ومحمد بن محمد أبو القاسم المشذالي (ت865 ه) ومحمد بن رشيد الفهري السبتي (ت 721 هـ) ومحمد بن علي المكالي (ت 763 هـ) ومحمد بن محمد ابن القويع (ت 738 هـ) ومحمد بن علي الدكالي (ت 763 هـ) ومحمد بن أحمد المقري التلمساني (ت 759 هـ) الذي أخذ عن الإمام ابن قيم ومحمد بن إبراهيم التلمساني ت 845 هـ، ومحمد بن محمد بن الطيب التافلاتي ت 1191 هـ، ومحمد عبد الحي الكتاني (ت 1382 ه) ومحمد الخضر حسين .

ومن الذين رحلوا إلى مصر ودرسوا بالأزهر مكي بن أبي طالب القيسي (ت437 هـ)، وعلي بن محمد الحصار (ت 611 هـ) ،ومحمد بن أبي القاسم بن جميل الربيعي ومحمد بن محمد ابن القويع عبد العزيز بن الدروال، إبراهيم بن محمد أبو إسحاق السفاقسي (ت 742 هـ)، عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي ت 875 هـ، الذي دامت رحلته إلى المشرق عشرين عاما، والذين قدموا من مصر إلى المنطقة عبد الله بن محمد بن عبد الملك المرجاني الصوفي (ت 699 هـ) وعماد الكندي السكندري (ت 741 هـ) محمد عبده 1323 ه وعبد الرحمن السيوطي (ت 911 هـ). وكان بقي بن مخلد من المفسرين وكبار المحدثين الذين نشطوا في الأندلس، واتجهوا إلى القيروان في القرن الثالث.

وهكذا استمرت رحلة هؤلاء المفسرين حتى القرن الثامن، فظهر منهم عبد الملك بن حبيب السلمي (ت 238 هـ) من ألبيرة ،وقاسم بن محمد البياني (ت276ه) من قرطبة، ومحمد بن عبد الله المسرة الصوفي (ت 319 هـ) من قرطبة أيضا،وكذا عبد الرحمن بن فطيس أبو المطرف (ت 402 هـ) ،وعبد الجليل بن موسى القصري 608 هـ، ومحمد بن أحمد القرطبي صاحب التفسيرات 671 هـ.

وآخرون تفرقوا عبر المدن الأندلسية ونشطوا فيها مثل محمد بن أحمد بن صمادح (ت 419 هـ) من سرقسطة، ومحمد بن أحمد بن اللجالش (ت 490 هـ) من غرناطة ومحمد بن عبد الرحيم القيسي (ت 701 هـ) من الجزيرة الخضراء، ومحمد بن علي الجذامي (728هـ). ليرجح كل من القرنين السادس والسابع القرن الأكثر كثافة.

ثم كان من الذين رحلوا إلى الأندلس واجتمعوا بالعلماء واستفادوا منهم، أحمد بن علي الربعي الباغاني المقرئ المفسر 401 هـ، وأحمد بن عمار المهدوي (ت 431 هـ) والقاضي عياض اليحصبي السبتي (ت 544 هـ)ويوسف بن إبراهيم أبو يعقوب الورجلاني الإباضي 570 هـ، هؤلاء صنعوا من الأندلس مدينة تنعمت بنعمة الإسلام مدة ثمانية قرون أو ما يقارب إلى أن ختمت بآخر المفسرين الأندلسيين أبي حيان (745 هـ).

و بالرغم مما لاقاه بعض المفسرين من حصار و عذاب إلا أنهم ظلوا يمدّون من مناهل معارفهم وعلومهم، من هؤلاء يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (ت 360 هـ) في عهد الطوائف وأبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية (ت 546 هـ) في عهد الموحدين.

ومن التفاسير التي انتشرت آنذاك وكان لها الأثر الكبير على التفسير، تفسير ابن سلام شيخ مفسري المأثور عند المغاربة الذي اختصره محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (ت 399 هـ) وعبد الرحمن أبو المطرف القنازعي (ت 413 هـ)، وأخذ عنه شيخ مفسري المأثور عند المشارقة ابن جرير الطبري. ثم تفسير المهدوي الذي قال فيه السيوطي "وقد اختصره أبو الحفص الشيخ عمر بن احمد الأندلسي وسماه عين الأعيان وكان ذلك في سنة أربع وستين وسبعمائة"[1]. وهو مصدر من مصادر ابن عطية الذي كان له الأثر في التفسير بالمنطقة، نقل عنه الكثير مثل الثعالبي وابن عاشور.

فضلا عن مختصرات أخرى مثل تفسير الفخر الرازي لمحمد بن أبي قاسم بن جميل الربعي (ت 715 هـ) وتفسير الدر المنثور للسيوطي لمحمد الكبير السرغيني (ت 1164 هـ) وكذا التبيان الجامع لكل علوم القرآن لأبي جعفر الطوسي الشيعي ت 460 هـ وأحكام القرآن لعماد الدين الطبري (504 هـ).

[1]– جلال الدين السيوطي. طبقات المفسرين. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1. 1983 .ص 111.

➢ **الفقه المالكي في المنطقة:**

من الأسباب التي جعلت أهل المنطقة يتعلقون بالمذهب المالكي دور الأمير باعتباره القاضي و المفتي في غرس هذا الشغف بالمذهب .

ولقد كان عصر الدولة الإدريسية الذي بدأ 172 هـ مهد بناء مدرسة مالكية وكان الأمير إدريس الأول معتنقا المذهب، و ابنه إدريس الثاني لم يدخل معركة خاسرة مع فقهاء المالكية الذين تعاطف معهم و شجعهم على الوفود من الأندلس خاصة بعد وقعة الريض 202 هـ، ومن ثم إدخال كتاب الموطأ إلى المغرب"ونميل إلى تفسير موقف الأدارسة المرن من المذهب المالكي بكونه جاء كذلك نتيجة لموقف الإمام مالك من ثورة محمد النفس الزكية ووقوفه إلى جانبه ضد العباسيين ما دفع الأدارسة إلى التعاطف مع مذهبه، من جهتها لعبت إمارة نكور بشمال المغرب دورا بارزا في الحفاظ على المذهب ورعايته"[1].

أما في العهد التركي فقد غاب الاجتهاد عن الفقه وركن تحت مظلة التبعية والتقليد،وأغلقت الأبواب ضد التيارات الجديدة، وبقي المذهب المالكي متجذرا مع بداية القرن الرابع الهجري ونشط في الحياة العامة بالرغم من وقوف الدويلات الزناتية التي حكمت المغرب خلال القرن الرابع الهجري مع الفاطميين.

كما دخلت بعض التفاسير المنطقة مثل تفسير المسيب بن شريك، تفسير الحسنبن أبي الحسن، تفسير عبد الله بن نافع، تفسير القرآن للنسائي، معاني القرآن للزجاج، تفسير ابن جرير، شفاء الصدور للنقاش .تفسير الماوردي، و إعراب القرآن للنحاس.

[1]– ابن عذاري. البيان المغرب. ج2 .تح: سكولانولبرفنسال. دار الثقافة. بيروت. 1980. ص77.

ومنه، اهتم المغاربة بكتب التفسير المشرقية فراحوا يشرحون ويعلقون ويختصرون مثل "حاشية أحمد القصار" على الزمخشري، "حاشية يحي الشاوي المليانى" (1097 هـ)، و"حاشية محمد بن محمد البليدي" (ت 1176 هـ) على البيضاوي، و مختصرات بعض المفسرين منهم أبو يحي محمد بن أحمد صمادح التجيني(ت 419 هـ) ومحمد بن أحمد بن عبد الله ابن اللجالش.

ومن الأسباب التي أدت أيضا إلى تعلق أهل المنطقة وخاصة أهل القيروان الذين تلقوا هذا المذهب السلفي نبذ كل ما من شأنه إثارة الفتن ونشب الصراعات من تأويلات كثيرا ما كانت تبتعد عن النصوص الشرعية و تفضيل الانحياز إلى مذهب مالك الذي يجمع بين البساطة والأصالة، و يعتمد على الحديث والسنة وهو متقدم عن بقية المذاهب في المغرب وكان لا يأخذ إلا بالخبر الصحيح، ومثال في الجهاد والتضحية والأخلاق الفاضلة تلك الميزات التي أعجب بها المغاربة و أشار إليها الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب بقوله "السبب في ميل الأفارقة إلى مذهب مالك هو اتخاذ سندهم وسند مدرسة مالك حيث ذكر أن رواية الأفارقة للحديث أي قبل نشأة المذاهب أكثر ما كانت بطريق المدنيين وسندهم".[1]

فضلا عن أن بيئة المغاربة تمزج بين الخشونة والبداوة وهي قريبة من بيئة الحجاز وعقليتهم المتعلقة التي جمدت عن التعاملات التجارية والانفتاح على الآخر، الأمر الذي وضحه ابن خلدون حين يتحدث عن مناسبة عقلية المغاربة للمذهب المالكي نظرا لسهولته وبساطته سهولة وبساطة عيش المغاربة فهم يبتعدون عن كل ما يثير الرأي والجدل ويقصرون جهودهم على النقل والرواية لأن مذهبهم عملي واقعي مهتم بالأعراف والعادات ومتمسك بالسنة والجماعة

[1]– محمد بن رزق بن طرهوني .م.س.ص 533.

متجنب البدع والضلالات، وأهل المغرب أهل ينفون عن حياتهم جدل العيش وصراعاته المذهبية فصفات مالك حببته إلى قلوب المغاربة وأكسبته ثقتهم عند ما رجع طلابه يصفون أخلاقه وشمائله لما لمسه فيهم من حسن الاستعداد والجد والحرص على الاتباع وحسن الاقتداء [1].

وهكذا ساد مذهب الإمام مالك في القيروان التي احتلت فيه المركز الثاني بعد المدينة المنورة.وظهر مفسرون منهم أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي التلمساني قدوة العصاميين الذي لقب بشيخ الإسلام وإمام العلماء وصدر الشريعة، وهو مفسر ومحدث وفقيه ومجتهد صاحب كتاب "النصيحة"أول شرح لصحيح البخاري، وأيضا الشيخ الجليل مروان بن علي الأسدي القطان أبو الملك البوني (عنابة) فقيه ومفسر وحافظ للحديث هو أندلسي الأصل له تفسير الموطأ للإمام مالك، ومحمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون أبو عبد الله القاضي فقيه شافعي مفسر ومؤرخ قال عنه ابن ماكولا "كان متفننا في عدة علوم لم أر بمصر من يجري مجراه روى عن أبي مسلم الكتاب ومن بعده ولي قضاء مصر نيابة له "الشهاب في المواعظ والآداب" و"مناقب الشافعي وأخباره" و"دقائق الأخبار وحدائق الاعتبار وغير ذلك".[2]

لكن بعد رحيل العبديين و حتى سنة 435 هـ أخذ المعز يعد العدة للتخلص من سلطان أهل السنة و قطع دعوتهم ولعنهم على المنابر.بيد أن اهتمام أهل السنة بقضايا الأمة الإسلامية .ومعاناتهم على يد العبيدين واستشهاداتهم جعلتهم يكبرون في نظر المغاربة، وأدت هذا إلى تسرب المذهب المالكي في عهد الدولة الأموية

[1] – ابن خلدون، المقدمة تح : عبد الواحد وافي. ج3.لجنة البيان العربي. ط2. 1952. ص 1020-1021.

[2]– محمد المختار اسكندر المفسرون الجزائريون عبر القرون رواية ودراية. ج1.دار دحلب الجزائر. ص 61-65.

في بلاد الأندلس، وهذا ما يفسر رغبة الأندلسين في عهد هشام بن عبد الرحمن بن معاوية في الاستقلال عن الخلافة العباسية، والدولة الفاطمية ومذهبها الشيعي بالإضافة إلى دور الأمير في إلزام الناس بمذهب مالك .

بالإضافة إلى أسباب أخرى دعمت المذهب المالكي بالمنطقة وساعدت على ترسيخ دعائمه منها هجرة القبائل الزناتية من المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى، و هجرة علماء إفريقية إلى المغرب بعد خراب القيروان خلال القرن الخامس الهجري إثر الغزو الهلالي.

وقد كان للمشرق الإسلامي دور في إذكاء شوكة المذهب السني. و إخماد فتيلة التيار الشيعي الذي لم ينفع أسلوب عنفه في إضعاف القوة السنية التي تزعمها السلاجقة الذين اختاروا أسلوبا للمقاومة تمثل في إنشاء المدارس النظامية مثل المدرسة الأشعرية بزعامة الإمام الغزالي(التصوف) لتكسير شوكة الشيعة وإحياء الثقافة السنية التي خرج من رحمها أئمة وعلماء انتصروا للمذهب السني.

وكانت تلمسان أهم المحطات والطرق التجارية والرحلات العلمية لمفسري المغرب، أمثال أبي العلي الصدفي وأبي بكر الطرطوشي وأبي بكر بن العربي كما كان للمالكيين والأندلسيين الذين رحلوا إلى العراق دور في تثبيت دعائم المذهب المالكي ببلدانهم مثل دارس بن إسماعيل وهو أول من أدخل مدونة سحنون إلى فاس و اشتهربه الإمام مالك وأبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي وهو من حفاظ مذهب مالك، وأبو عمران الفاسي تلميذ أبي بكر الباقلاني بالعراق.

- **أثر القراءات في التفسير بالمنطقة:**

حظي الاختلاف و التنوع في القراءات التي دخلت إلى بلاد المغرب عن طريق الصحابة و التابعين باهتمام المسلمين من أهلها الذين عدوه مظهرا من

مظاهر إعجاز القران الكريم يساعد على اتساع المعاني دون تناقض و تباين فالاختلاف اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد يقول الشيخ الزرقاني "إن تنوع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات و ذلك ضرب من ضروب البلاغة يبتدئ من جمال هذا الإيجاز وينتهي إلى كمال الإعجاز أضف إلى ذلك ما في تنوع القراءات من البراهين الساطعة والأدلة القاطعة على أن القراءة كلام الله و على صدق ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض في المقروء و تضاد ولا إلى تهافت و تخاذل بل القرءان كله على تنوع قراءاته يصدق بعضه بعضا لا ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد في علو الأسلوب و التعبير و هدف واحد من سمو الهداية والتعليم وذلك من غير شك يفيد تعدد الإعجاز بتعدد القراءات و الحروف"[1]. و يقول السيوطي"بالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض "[2].

ومن القراءات التي انتشرت في هذه المنطقة رواية ورش نسبة إلى عثمان بن سعيد المصري(ت297هـ) تلميذ نافع بن أبي نعيم الذي لقبه بورش لشدة بياضه"القراءة التي اعتمدت في جميع الأقاليم هي قراءة نافع بن أبي نعيم المدني .

و قياسا على انتماء أهل المغرب و تعلقهم بمذهب أهل المدينة في الفقه، مما دفع بالقاضي عبد الله بن أحمد |إلى إجبار الفقهاء و الأئمة مثل محمد بن برغوت القروي،وأحمد بن عمار المهدوي صاحب"الهداية والكفاية" و مكي بن أبي طالب

[1]– الزرقاني . مناهل العرفان. ج خالد بن عثمان السبت .دار بن عفان للنشر و التوزيع ص 142

[2]– جلال الدين السيوطي .الإتقان في علوم القرآن .ج2 دارالمعرفة مصر232.

[3]– محمد بن محمد الأندلسي السراج .الحلل الأندلسية في الأخبار التونسية .ج1 دار الغرب الإسلامي ط1 بيروت– لبنان 1985 ص 276

القيسي، وأبو عمرو الدانيصاحب كتاب "التيسير" والإمام الشاطب يصاحب كتاب "الشاطبية" وهو عمدة المقرئين للقراءات على اختيار قراءة نافع في تدريباتهم. مع اشتراط الثقافة الدينية و اللغوية و البلاغية الواسعة و العميقة .يقول ابن خلدون "فاستوعب فيها الفن استيعابا حسنا وعني الناس بحفظها وتلقينها للولدان والمتعلمين وجرى العمل على ذلك في أمصار المغرب والأندلس"[1].

هذا ، وقد مرّت القراءات بمراحل منها :

1- مرحلة القراءات الحرة: وهذا قبل ظهور القراءات السبع أو العشر، عن رواية بعض الصحابة منهم عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن الأسود، وبعض التابعين منهم عكرمة وحنش الصنعاني علي بن رباح اللخمي وغيرهم، ولم يكن أثر القراءات في هذه المرحلة واضحا في التفسير إلا في أحاد الآثار المروية على الصحابة والتابعين قال السيوطي "من المهم معرفة التفاسير الواردة عن الصحابة بحسب قراءة مخصوصة، وذلك أنه قد يرد عنهم تفسيران في الآية الواحدة مختلفان، فيظن اختلافا وليس باختلاف وإنما كل تفسير على قراءة وقد تعرض السلف لذلك فأخرج ابن جرير في قوله تعالى: "لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ"[2].من طرق عن ابن عباس وفيرة أن سكرت بمعنى سدت، ومن طرق أنها بمعنى أخذت، ثم أخرج عن قتادة قال: من قرأ سكرت مشددة فإنما يعني سدت، ومن قرأ سكرت مخففة فإنه يعني سحرت، وهذا الجمع من قتادة نفيس بديع"[3].

---

[1]-ابن خلدون . العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج1 دارالكتاب للطباعة و النشر 1978ص469

[2]- سورة الحجر، الآية 15.

[3]- جلال الدين السيوطي ، م . س .ص 235.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة الاختيار فيها اختار أهل المنطقة قراءة دون الالتزام بقراءة، وكان ذلك بعد بعثة عمر بن عبد العزيز 99 هـــ، ولم يصلنا في هذه المرحلة إلا تفسير يحي بن السلام في أواخر القرن الثاني الذي حل بالمنطقة ومكث فيها، وكانت مروياته في القراءات عن أهل البصرة والكوفة والمدينة، وتفسير هود بن محكم الهواري الذي اختصر تفسير يحي وحمل الناس على قراءة نافع.

المرحلة الثالثة:وفيه وقف أهل المنطقة لترجيح قراءات عن أخرى فقد كانت قراءة حمزة هي الغالبة وقراءة أبي عمر البصري لانتشار المذهب الحنفي في إفريقيا قبل مجيء محمد بن عمر بن خيرون (ت 306 هـــ) بقراءة نافع.

فصارت قراءة العامة بعدما اقتصرت على الخواص.

ويرجع العلماء اختلاف القراءات القرآنية إلى سببين أولهما اختلاف اللهجات العربية فالقرآن الكريم كتاب تيسير على الناس .و ثانيهم إعجاز القرآن يقو ل ابن عاشور " أرى أن للقراءات حالتين إحداهما لا تعلق لها بالتفسير بحال (اختلاف القراء في وجوه النطق).و الثانية لها تعلق به من جهات متفاوتة بالحروف و الحركات (المد بالإمالات التخفيف التسهيل الجهر الهمس الغنة)".[1]

وفي خضم هذا ظهر مفسرون جزائريون بدءا بعبد الرحمن بن رستم (160هـــ- 776هـــ) أول مفسر جزائري بويع بالإمامة بتهرت وهو من أصل فارسي و أسرة ملكية كسروية، وهودين محكم الهواري الأوراسي وهو مفسر فقيه وإباضي .من أقدم مفسري القرآن في المغرب الأوسط الذين عاصروا الإمام أفلح

[1]- ابن عاشور . التحريرو التنوير .ج1 الشركة التونسية و المؤسسة الوطنية للكتاب . الجزائر.ص56

بن رستم 40 هـ، وأبو العباس أحمد الباغاني وهو مفسر قال فيه ياقوت الحموي "كان لا نظير له في علوم القرآن"[1]ومنهم أيضا أبو يعقوب يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي التوزري والمحدث الفقيه عبد الحق بن غاب بن عطية المحاربي (ت 542 هـ) ومحمد بن علي بن بيبش لعبدري (ت 582 هـ) والشيخ أبو الحسن علي بن أحمد التيجيني الحراس صاحب كتاب "اللب المقفل في فهم القرآن المنزل":و أبو زكريا أبو علي المشتهر بالزواوي والشيخ علي بن عبد الله بن ناشر بن المبارك الوهراني أبو بكر أبو الحسن وهو مفسر نحوي لغوي شاعر من أهل وهران وأبو إسحاق بن عرافة البجائي 675 ه الفقيه الخطيب العارف وهو مفسر وواعظ من فقهاء تلمسان وعلمائها.، وكذا أحمد بن العباس أبو العباس النقاوسي عالم بالتفسير والفقه 765ه والحديث والأدب واللغة والمنطق بنقاوس بالجزائر قال عنه خالد البلوي في رحلته "أديب العصر ونحوية وعروضية وبيانية وحكيمه ومنطقيه إلى الإحاطة بالتفسير والحديث مع المطالعة والمذاكرة"[2].

كما برز في القرن الثامن أحمد بن الحسين بن علي بن الخطيب بن قنفذ القسنطيني من "نيل الابتهاج" الإمام العلامة المتفنن،ومحمد بن يوسف بن عمر بن شعيب أبو عبد الله السنوسي 822-895 ه كبير علماء تلمسان وزهادها في عصره عالم بالتفسير والحديث وعلم التوحيد، له عقيدة التوحيد وتسمى العقيدة الصغرى وشرح صحيح البخاري، ومنهم أيضا أحمد بن أبي يحي التلمساني

[1]- محمد المختار اسكندر . م س.ص61

[2]- التنبكتي .نيل الابتهاج بتطريز الديباج.دار الكتب العلمية .ص70

895 هـ علامة ومفسر.وسالم بن إبراهيم الصنهاجي 834 هـ العالم الإمام القاضي، ومحمد بن مرزوق الحفيد "نيل الابتهاج " الإمام المشهور العلامة الحجة الحافظ المحقق التقي الصالح الزاهد الورع، الفقيه المجتهد الأصولي المفسر المحدث والمحافظ المسند. وكذا محمد بن عبد الرحمن الشهير بابن زاغوا المغراوي التلمساني محدث ومفسر أصول التصوف.وغيرهم.

دون أن ننسى العلاّمة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي ، الذي انبنت شخصيته على ظروف سياسية واجتماعية ودينية أكسبته قدرة وأخرجته في عالم عظماء التفسير.

- **الظروف السياسية وميلاد العلامة:**

تأثر الشيخ عبد الرحمن الثعالبي بظروف القرن الرابع عشر العامة التي طبعت بطابع التخلف و الجمود أو ما يسمى عند المؤرخين بفترة الاحتضار .

فالحياة السياسية:اتسمت بالانقسامات والصراعات الداخلية كما يرى بعض المؤرخون منهم الشيخ مبارك محمد الهلالي الميلي وشارل اندري جوليات، وكذا السيد عبد العزيز سالم وغيرهم الذين اعتبروا القرن السابع بداية للانحطاط العام بسقوط الدولة المؤمنية و انقسامات بلاد المغرب الإسلامي السياسية التي تبعتها الفوضى والجور بسبب انهيار دولة الموحدين. والقرن الثامن ميلاد عبد الرحمن الثعالبي عصر الفتن والحروب القبلية وصراعات الولاة حول السلطة بين الحفصيين... والزيانيين .. والمرينيين . الذين عملوا على ضم. المغرب الإسلامي تحت لوائهم، فكانت كل من فاس وتلمسان وبجاية وقسنطينة وتونس ذوات دور هام في هذا الصراع السلطوي الذي انعكس سلبا على الحياة الاجتماعية والثقافية ، حيث انقسمت دولة ،الموحدين إلى دويلات، فالحفصيون في تونس (المغرب

الأدنى)، وبنو عبد الواد في يغمراسن مؤسس تلمسان (المغرب الاوسط.)، وبنومرين ، في فاس (المغرب الأقصى) لينفصل المغربان الأدنى والأقصى عن دولة الموحدين "والملاحظ أن قادة هذه الدويلات . كانوا يهدفون كل بوسائله الخاصة إلى إعادة توحيد المغرب العربي، فكل .يمني . نفسه بوضعه موحدا تحت سلطته"[1].

حتى جاء القرن التاسع الذي شهد فيه المغرب العربي الإسلامي صراعا بين ثلاث دول رئيسية هي الحفصية والزيانية والمرينية متبوعا بالتطاحن العائلي (الصراع الداخلي) وتهديد الإسبان والبرتغاليين لمدن ساحل إفريقيا سيما بعد طردهم للمسلمين من الأندلس.

كما شهد إنتاجا ثقافيا وفكريا لم يلبث أن صبغ بطابع سياسي مضطرب ومتدهور فالحدود الجزائرية لم تكن في تلك الفترة ثابتة ومضبوطة والجزائر لم تكن مثل الآن لأنها كانت تطلق على مجرد مدينة ساحلية.

ومنه، فخريطة القرن التاسع السياسية للمغرب العربي .كانت تحت نفوذ ثلاث دول رئيسية: المرينية والزيانية والحفصية، يقول سعد الله أبو القاسم "أما وسط القطر الجزائري الحالي، فقد كان منطقة عازلة بين الحفصيين والزيانيين، ومن ثم كان منطقة صراع دائم بين القوتين ولذلك ظهرت فيه إمارات محلية صغيرة كانت تحتفظ بحيادها أحيانا ولكنها في أغلب الأحيان تتبع الأقوى 2.

[1]- عبد الرزاق قسوم .عبد الرحمن الثعالبي و التصوف .الشركة الوطنية للنشر و التوزيع .الجزائر .ص 13.

[2]– سعد الله أبو القاسم. تاريخ الجزائر الثقافي في القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري.ج1. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر.ط2. 1985. ص 28.

فضلا عن ذلك ساد الصراع الداخلي العائلي بين كل أسرة من المرينيين والزيانييين، والحفصيين. بين الابن وأبيه .والأخ وأخيه من أجل السلطة. فكثرت الحروب وعمت الفوضى وغاب الأمن.

وهكذا إلى أن أخذ هذا الصراع طابعا دوليا فاتحا المجال للاحتلال البرتغالي والإسباني للمغرب العربي "وكان ضغط الإسبان خاصة على مسلمي الأندلس قد حمل هؤلاء على الهجرة إلى سواحل المغرب العربي مما قلب الميزان الاقتصادي والاجتماعي والسياسي فيا [1].

هذا. وقد كان للثعالبة آل عبد الرحمن الثعالبي دور هام في حربهم ضد المرينيين والحفصيين وبني عبد الواد، ولكن مقاومتهم باءت بالفشل لضعفهم خاصة أمام بني عبد الواد الذين وضعوا، حدا ، للدولة الثعالبية، مثلما يرى ابن خلدون، "كان الثعالبية مستضعفين عاجزين عن الترحال .فاستقلوا.. بالتل، وتغلب عليهم "توجين" أيام كانوا بتيطري ثم مليكش وولاية الجزائر، لما انتقلوا إلى متيجة أواخر القرن السابع الهجري وأدوا المغارم لدولتي الحفصيين والمرينين اللتين تداولتا ملك متيجة والجزائر وتوالى ضعف الثعالبة، أجداد عبد الرحمن إلى أن تم انقراضهم على يد أبي حمو الثاني، أحد زعماء . دولة بني عبد الواد وملك تلمسان 780، 1378م الذي ما إن تم له الاستيلاء على الجزائر وتلمسان في أواخر القرن الثامن الهجري حتى قتل زعيمهم سالما وتتبع أخوانه وقبيلته بالقتل والسب والنهب، حتى اندثروا ثم قتل الأتراك منهم لأول استيلائهم . على الجزائر، عددا كبيرا مما زاد في ضعفهم وإذا لم يظهر من الثعالبة أمراء، فكفاهم فخرا عبد الرحمن الثعالبي، في ميدان الفكر الصوفي .، وأبو مهدي عيسى الجعفري الثعالبي عالم القرن الحادي عشر ميلادي، عاش في هذا الجو السياسي المضطرب

[1] - سعد الله |أبو القاسم . م س ص28

المتداعي ظهر إلى الوجود عبد الرحمان الثعالبي الذي عاش في عصر يسوده الانحطاط الحضاري في مختلف الميادين [1].

تلك صورة مختصرة للواقع السياسي بالمغرب الإسلامي في هذا العصر فإذا نظرنا إلى العالم الإسلامي عامة نجده مسرحا للفتن والحروب التي كانت تقطع أوصاله لكنها .لم تثني سكان الجزائر عن الانشغال بدرس القرآن وحفظه وتفسيره بدءا بأول تفسير لهودين محكم الهواري في جبل أوراس إلى أبي عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمساني (ت 711هـ) الذي فسر القرآن في خمس وعشرين سنة إلى أهم التفاسير في القرن التاسع الهجري وفي الجزائر العاصمة إنه العلامة الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي أحد أعلام القرن التاسع الهجري على المستوى العلمي المغربي المالكي الإمام الحجة، العالم العامل، الزاهد الورع، ولي الله الصالح العارف بالله، من أولياء الله المعرضين عن الدنيا وأهلها، ومن خيار عباد الله الصالحين.

ولد الثعالبي سنة 784هـ أو 783هـ (1382 أو 1383م) بوادي يسّر غير بعيد من عاصمة الجزائر، وتوفي سنة 875هـ أو 873هـ ودفن بعاصمة الجزائر، وضريحه معروف بالقصبة إلى يومنا هذا.

وقد ارتبط عبد الرحمن بالجزائر العاصمة، وارتبطت به فصارت مدينة القطب الرباني سيدي عبد الرحمن التي تغنى بها في الكثير من الأغاني الشعبية وصار الثعالبي البطل الحامي للمدينة كما يذكر المستشرق (دير منغام) توفي 1970" إن فكرة القداسة قد تلونت بألوان تختلف من وقت لآخر، ومن مكان إلى

[1]–عبد الرزاق قسوم.م.س.ص 15.

مكان، حسب تغير الأزمنة ولكنه لا يوجد شعب واحد لا يضع البطل أو الولي، وراء أصل المدينة أو الساهر على حمايتها والمحافظة عليها"[1].

➢ **الحياة العلمية:**

إن ازدهار الحركة الاقتصادية في القرن العاشر الهجري بسبب النازحين الأندلسيين كان سببا من أسباب تطور الحركة العلمية التي نبت فيها الثعالبي وشب وهو في الخامس عشر انطلاقا من الجزائر التي مكث فيها سبع سنوات إلى بجاية (802)هـ التي ترعرع فيها وهي أقرب مدينة وأشهرها ومحطة الكثير من مشاهير العلماء، نظرا لحسن معاملة أهلها وأمن المنطقة، وكان عمره آنذاك لا يتجاوز السادسة عشر ربيعا، اتصل بعلمائها واستفاد منهم في الفقه والمنقول والمعقول وتجويد القرآن والحديث والقراءات منهم عبد الرحمن الوغليسي (ت 786 هـ) وأبو العباس أحمد بن أبي زيد عبد الرحمن النقاوسي البجائي وهو من فقهاء المالكية صاحب كتاب "الأنوار المنبلجة في بسط أسرار المنفرجة" (ت 810 هـ) وأبو الحسن علي بن عثمان المنقلاتي الزواوي الذي كانت عليه عمدة قراءته كما يذكر الثعالبي، (ت 815 هـ)، ثم أبو الحسن علي بن موسى عبد الله بن هيدورالتادلي وهو إمام في علوم الفرائض والحساب (816 هـ)، وأبو الربيع سليمان بن الحسن البوزيدي الشريف التلمساني فقيه محقق عليه كانت عمدة تجويده للقرآن ت (845 هـ) ، وكذا أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن محمد

[1]Emile dermengham vie des saints musulmans,. P 07. Edition Bacconier Alger.

بن عبد الصمد الزواوي المشدالي ويضرب به المثل في التحصيل، له كتاب "مختصر البيان" لابن رشد.

فضلا عن بعض الشيوخ مثل أبي الحسن علي بن مكي الملياني الذي أخذ عنه الوغليسي في الفقه وأصوله.وأبي زكرياء يحي بن أحمد العدلي البجائي شارح الوغليسية (ت 881 هـ) وغيرهم.

هنالك مكث الشيخ عبد الرحمن الثعالبي يتتلمذ على شيوخه وينهل من مناهل العلم والمعرفة مدة سبعة أعوام "رحلت في طلب العلم أواخر القرن الثامن فلقيت الأئمة المقتدى بهم في العلم أصحاب سيدي عبد الرحمن الوغليسي (ت 786 هـ) متوافرين فحضرت مجالسهم"[1]

ثم واصل الشيخ رحلته العلمية بعد أن توفي والده متجها إلى تونس، وكانت بجاية في ذلك الوقت تابعة لها فأخذ عن علمائها مثل الأبي عبد الله محمد بن خلقة بن عمر الوشتاتي المالكي صاحب كتاب "المعلم لفوائد كتاب مسلم" في شرح صحيح مسلم، وهو من أصحاب عرفة.وأبي يوسف يعقوب بن أبي القاسم الزغبي ت 833 هـ وأبي العباس أحمد بن محمد ، الفقيه المحقق .المشهور بالشماع الهنتاتي ت (833 هـ).وأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد القلشاني الباجي الفقيه القاضي والإمام الذي أخذ عنه صحيح البخاري ت 837 هـ وأبي عبد الله محمد بن أحمد بن الخطيب محمد بن مرزوق التلمساني الإمام المحقق والعلامة المفسر والمحدث الراوية ت 842 هـ. وأيضا البرزلي أبو القاسم بن أحمد بن

[1]– لشيخ عبد الرحمن الثعالبي الجواهر الحسان. ج.3. تحقيق :أبو محمد الغوماري الادريسي الحسني. دار الكتب العلمية. بيروت. 1996 ص 40.

محمد البلوي القيرواني وهو مفتي وفقيه له "الحاوي في النوازل" ت 844 هـ.

يقول الثعالبي وهو يصف تعلق التونسيين به واعترافهم بسعة علمه وتفوقه في عالمي الدراية والرواية "ولم يكن يومئذ بتونس من أعلمه يفوقني في علم الحديث منه من الله وفضلا، وإذا تكلمت أنصتوا وتلقوا ما أرويه بالقبول فضلا من الله سبحانه، ثم تواضعا منهم وإنصافا وإذعانا للحق واعترافا به.وكان بعض فضلاء المغاربة هناك يقول لي: لما قدمت علينا من المشرق رأيناك آية السائلين في علم الحديث، وذلك فضلا من الله ومنه، منه سبحانه، ومع ذلك لا أسمع بمجلس روى فيه الحديث إلى حضرته، جعل الله ذلك خاصلا ومبلغا إلى مرضانه، ونعوذ بالله أن يكون ذلك فخرا وسمعة"[1].

وقد أخذ الشيخ علم الحديث عن أبي عبد الله محمد البلالي وأبي عبد الله البسطامي شيخ المالكية، وولي الدين أحمد بن عبد الرحيم العراقي شيخ المحدثين.

ومن المغرب شد الرحال على غرار علماء تلك الفترة إلى المشرق بدءا بمصر التي دخلها 817 هـ، وتعلم في أزهرها، والتزم حلقات علمائها مثل أبي عبد الله محمد بن علي بن جعفر شمس الدين المعروف بالبلالي الذي استفاد منه الثعالبي ثم رحلت إلى المشرق، ودخلت مصر، فسمعت البخاري على البلالي وكثيرا من اختصار الأحياء للغزالي له"[2]،وأبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين ولي الدين العراقي الكردي الأصل، وهو بارع في الحديث والفقه والأصول وعلوم العربية قال فيه الثعالبي: "وحضرت كثيرا عند شيخ المحدثين بها- مصر- ولي الدين العراقي، وأخذت معنه علوما جمة معظمها علم الحديث

[1]- الثعالبي .ج4.م.س.ص159.

[2]- نور الدين عبد القادر. صفحات من تاريخ مدينة الجزائر.مطبعة البحث. قسنطينة. الجزائر.ص168.

(وفتح لي فتح عظيم، وأجازني"[1]، و كذا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين البساطي شيخ الإسلام والمالكية ت 842، وغيرهم من أعلام التفسير في المشرق.

ليواصل الثعالبي رحلته إلى تركيا وبالضبط إلى بويصة أين لقي إعجاب الأتراك الذين أقاموا له زاوية تحمل اسمه. وتحفظ علمه وورعه وخلقه ثم يتوجه إلى زيارة البقاع المقدسة لتأدية فريضة الحج و واجب التدريس والتوجيه، في المسجد النبوي الشريف الذي اجتمع فيه بعلماء أخذوا وأخذ عنهم .

وهكذا ظل يتنقل بين المشرق والمغرب يغترف من منهل علمها على يد علماء وشيوخ أجلاء بصموا تاريخهم الديني والعلمي المشرف في حوالي عشرين سنة.

وبعد أن أكمل الثعالبي مشوار علمه وتعلمه في بلاد المشرق اختار أن يستقر أخيرا بوطنه الجزائر ليخدمه بإمامته وقضائه وخطبه وتوجهاته وكتبه .وبتلاميذ أعلام تخرجوا على يده وحققوا حضورهم في العالم الإسلامي وكانوا طلابا له وأصحابا منهم، أبو العباس أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري شهاب الدين صاحب اللامية المشهورة في العقائد ت 884 هـ وأبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسني التلمساني وهو عمدة علماء الكلام، صاحب العقيدة الكبرى وشرحها والعقيدة الوسطى وشرحها والعقيدة الصغرى وشرحها (السنوسية) (ت 895هـ.وأبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق الذي قال عنه "شيخنا الفقيه الصالح ديانة أغلب عليه من العلم، كان

[1]– نور الدين عبد القادر.م س. ص 168.

يتحرى في النقل، أتم التحري ولا يستوفيه في بعض المواضع وقال فيه المناوي: عابد من بحر العبر يغترف،وعالم بالولاية منتصف، تحلى بعقود القناعة والعفاف، وبرع في معرفة الفقه والتصوف، والأصول والخلاف، خطبته الدنيا فخاطب سواها، وعرضت عليه المناصب فردها وأباها"[1].وأيضا أبوعبد الله محمد بن محمد بن أحمد العجيبسي التلمساني الشهير بابن مرزوق الكفيف ت 901 هـ و أبو عبد الله، محمد عبد الكريم التلمساني المغيلي ت 909هـ، وأيضا أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي مفتي الجزائر ت 969هـ.

إذا كان هذا الثعالبي الذي لم يبخل علينا بعلمه فأكرمنا بكتب لا تزال دخيرتنا التي نزود بها مكتباتنا وننير بها عقولنا، مؤلفات غرة جمعت بين التفسير والحديث والفقه والقراءات، من هذه الكتب ماهو مطبوع وما هو مخطوط قيد الدراسة والطبع.

من المطبوعات:

- العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة بجزأين.
- المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع في قراءة نافع وهو شرح على منظومة عبد الله بن بري اللغوي المقرئ الثقة ت 582هـ.
- كتاب المرائي وهو عدد من المنامات رآها الثعالبي.

[1]– ابن العماد الجنبلي (أبي الفلاح عبد الحي). شذرات الذهب من ذهب .ج7. المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع.ص363.

ومن المخطوطات:

- روضة الأنوار نزهة الأخيار
- الأنوار المضيئة في الجمع بين الشريعة والحقيقة
- شرح مختصر لابن الحاجب الفرعي
- إلتقاط الدرر.
- الدر الفائق في الأذكار والأدعية والوعظ.
- جواهر المدونة وعيون سائلها.
- تحفة الأخوان في إعراب بعض آيات القرآن.
- الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز.
- جامع الأمهات في أحكم العبادات.
- جامع الهمم في أخبار الأمم.
- الإرشاد في مصالح العباد.
- إرشاد السالك – رياض الصالحين.
- نور الأنوار ومصباح الظلام.
- الأربعون حديثا مختارة.
- قطب العارفين ومقامات الأبرار والأصفياء والصديقين.

واستمر في ذلك إلى أن توفي 875 هـ ، فبكاه الخطباء ورثاه الشعراء وحزنت عليه القلوب والعقول، وكان جل من رثاه من تلاميذه مثل الشيخ أحمد بن عبد الله الجزائري الزواوي في منظومته المشهورة "كفاية المريد في علم التوحيد" حيث يقول:

لقـــد جـــزعت نفسي لفقد أحبتي

و حق لها من مثل ذلك تجـــــزع

ألم بنـــا مـــا لا نطيـــق دفـــاعـــه

و ليس لأمر قدر الله مرجـــــــع

لقد بان أهـــل العلم عـــنا بقبضهم منازلـــهم إنا إلـــى الله نرجع

كما بان عنا شهمنا العـــالم الـــذي سناه بأنـــوار الحقيقـــة يسطع

أبو زيد المشهور بالعلم و التقى له الفضل فينا و المقام المرفع

هو العالم الموصوف بالنفع الورى له لفضل فينا و المقام المرفع "[1] .

كما رثاه عدة علماء منهم أحمد بن عبد الله الجزائر والقاضي محمد بن مالك بادئا بالغزل الرقيق ومثنيها بمدح أخلاق الثعالبي وإما منه حيث يقول:

أبا جيرة حلوا بخير مقـــــــام لكم قد صبا قلبي وطاب مقامي

[1]– الجيلالي عبد الرحمن بن محمد. تاريخ الجزائر العام. ج2 .دار الثقافة بيروت. ط1. 1980. ص 283.

وخلص بـــ:وما صبوتي فيمن رآه حقيقة ولكنني أصبو لحب إمام

أبو زيد القطب الأجّل الثعالبي إمام الورى طرا بكل مقام.

و أثنى على أعماله عدة مشايخ منهم التنبكتي الكتاني.ومحمد بن خلفة الأبي والحافظ ابن مرزوق وكذا شيخ المحدثين أبو زرعة خليل وغيرهم حيث قال عنه ابن محمد بن مخلوف "الإمام علم الأعلام الفقيه المفسر المحدث الراوية المدة الفهامة الهمام الفاضل الصالح الفاضل العارف بالله الواصل أثنى عليه جماعة بالعلم و الصلاح والدين."[1]

- **الحياة الاجتماعية والدينية:**

كان لظروف الحرب القبلية في بلاد المغرب والتطاحن الداخلي أثر بين في الحياة الاجتماعية لسكان المغرب الذين اختاروا عقيدة المرابط والزوايا والتصوف كوسيلة للهروب من القهر والقسوة والحرمان والانحلال الداخلي والخارجي للدولة، وأصبحوا يقدسون المعجزات والأولياء، فظهرت عدة طرق صوفية منها الطريقة اليوسفية في القرن التاسع للهجري للشيخ أحمد بن يوسف الهواري المدفون في مليانة.

والكرامات الغريبة التي خص بها الثعالبي مثل "ابتلاع الأرض لرجال شتموه بسبب دعائه عليهم، وعقاب نال قوما من قبيله، بني صالح بالأطلس البليدي، وقد أجبروه على الرقص معهم"[2]، ومثل قصة زيارة الولي الشهير سيدي محمد بن عودة الوهراني الشهير بترويض الأسود حيث يذكر أنه: لما مثل الزائر

[1]– عبد الرزاق دحمون. الشيخ عبد الرحمان الثعالبي و آراؤه الاعتقادية من خلال تفسيره الجواهر الحسان . دار ابن حزم. بيروت. لبنان .ط1. 2009. ص 69.

[2]– عبد الرزاق قسوم. م.س.ص 17.

أمام الثعالبي سأله: أين أترك أسدي؟ فأجابه الثعالبي اتركه مع بقري، ففعل الرجل، وعندما دخل إلى خلوة الشيخ وجد حسانا يؤدين له الزيارة، فتعجب الزائر من هذا التصرف، وتمنى لو أنه كان في المدينة بدل الجبال، حتى يحظى بمثل هذه الزيارات، وفهم الثعالبي ما يدور بخلد زائره، فنزع عنه ظنونه بقوله "إن العبادة في القلوب وليست بين الجبال أو في المدينة، ولم تنته القصة هنا، ولكنها . انتهت حين قفل الزائر عائدا إلى بلاده، ففتش عن أسده، ولكن دهشته كانت كبيرة حين وجد أسده قد ابتلعته بقرة الشيخ الثعالبي"[1].

تلك الأساطير كما تذكر الروايات كانت وسيلة تبرر الاستعمار للبلاد المغربية الناتج عن دعوة الأولياء الصالحين لعقاب سكان هذه البلاد، و تشوه صورة الإسلام والأولياء الصالحين "إن معظم الدراسات التي خصصت للأولياء من خلال الفترة السابقة للحرب العالمية الأول، كانت تعبر في أقوالها عن أحكام قاسية[2].و تعكس مجتمعا مغربيا يقدس الأولياء الصالحين ويتبرك بهم. وينسب إليهم خوارق وأساطير "لولا انقطاع الوحي لنزل فينا أكثر مما نز.ل في اليهود والنصارى، لأننا أتينا أكثر مما أتو .

ناهيك عن منافسة الزاوية للمدرسة في نشر التعلم . ودورها في غلق باب الاجتهاد، وفتح المجال أمام الخرافات والأساطير.

و قد قدم لنا العلامة ابن خلدون صورة واضحة و صادقة تعكس مظاهر اجتماعية تفشت في المجتمع المغربي مجتمع عاش فوارق و أنماط مفترقة ومختلفة، فانتقل من البداوة و الحضر إلى العصبية والقبلية "إن صلة الرحم طبيعي

---

[1]–عبد الرزاق قسوم . م س ص17

[2]– نفسه .ص 18.

[3]– مبارك الميلي الهلالي. تاريخ الجزائري القديم والحديث .ج1. بيروت. 1993. ص 390

في البشر إلا في الأقل. و من صلتها النعرة على دوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة "[1].

كما استطاع وازع الدين المشترك أن يؤلف بين القبائل ويقوي عزائم أفراد هذا المجتمع المسلم، وخير دليل على ذلك وصية الأمير أبو زكريا إلى ابنه الأمير أبي يحي زكريا بعد أصبح واليا على ثغر بجاية بني حماد "اعلم سددك الله وأرشدك وهداك لما يرضيه وأسعدك، وجعلك محمود السيرة مأمون السريرة إن أول ما يجب على من استرعاه الله في خلقه وجعله مسؤولا عن رعيته في حل أمر علم وفقه، أن يقدم رضي الله عز وجل في كل أمر يحاوله وأن يكل أمره وحوله وقوته لله، ويكون عمله وسعيه وذبه على المسلمين وحربه وجهاده للمؤمنين بعد التوكل عليه، والبراءة من الحول والقوة لله، ومتى فاجأك أمر مقلق أو ورد عليك نبأ مرهق، فريض لبك، وسكن جأشك وارع عواقب أم تأتيه وحاول قبل أن ترد عليه وتفشيه"[2]، إلى أن يقول "واعلم أن دماء المسلمين وأموالهم حرام على كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر إلا في حق أوجبه الكتاب والسنة، وعصرته أقاويل الشريعة والحجة، أو في مفسد عائث في طرقات المسلمين وأموالهم جار على عينة في إفساد صلاحهم وأحوالهم .

و كان للثعالبي موقف خاص إزاء الوضع الاجتماعي في بلاد المغرب العربي حيث دعا إلى الاعتزال و شجع على الهروب من الدنيا والانشغال بالعبادة انتقاما من جور الحكام وسوء الأحوال، ليعطي ومن معه صورة جلية لعهد القرن التاسع وما بعده. وهذا ما يصر عليه أبو القاسم في كتاباته "الثعالبي وتلميذه

[1]– عبد الرحمن بن خلدون.تاريخ ابن خلدون .ج6 بيروت .1959.ص225

[2]–ابن خلدون. م س ص622

[3] – نفسه. ص 622.

السنوسي كان لا يرتاحان إلى الحكام ولا يقربانهم ولا يخالطانهم ويكفي أن نعرف أن السنوسي كأستاذه الثعالبي اتجه نحو علوم الآخرة والروحانيات والتصوف، وكان لا يرتاح إلى الحكام ولا إلى مجتمع عصره، لأن الزمان في نظره قد تبدل وكثرت فيه الشرور، فوجب الفرار منه إلى الله، والنجاة بالنفس من الانحراف السياسي والاجتماعي عند المسلمين"[1]

من ههنا أعلن الثعالبي هو وغيره من المصلحين انقلابهم على الوضع الفاسد السائد، واختار أن يعتزل الناس ولا ينسى أن يطلع على أحوال عصره ويدعو إلى الجهاد ضد الأعداء تلك الدعوة التي ابثت في ثنايا تفسيره الجواهرلآيات الجهاد وجعلت الثعالبي وهو يعيش حياة العزلة والتصوف عالما وفقيها يسعى لنشر هاتين الفضيلتين امتدادا لمدرسة أبي حامد الغزالي ويحظى بالخلق الكريم فهو الإمام العالم الورع الزاهد. الذي قال فيه الإمام محمد بن يوسف السنوسي "كنا يوما مع سيدي عبد الرحمن الثعالبي رحمه الله- وعليه ثوب أبيض وعلى رأسه عمامة عريضة مسدولة على ظهره، قال: فوقف على مكان مرتفع ونحن أسفل منه، فنظرت إلى ساقيه فرأيت طرف ثوب من شعر ملاصق لجسده، فتعجبت من زهده- رضي الله عنه- حيث جعل الثوب الأبيض من فوق ذلك فمن رآه بذلك الثوب الأبيض ظن أنه من أهل الدنيا، وهو في باطن الأمور خلاف ذلك"[2].

- **الحياة الثقافية:**

بالرغم من الاضطراب السياسي والتطاحن الداخلي والصراع الشديد حول السلطة شهد عصر الثعالبي نتاجا ثقافيا لقي عناية الكثير من العلماء يقول أبو القاسم: "وفي إحصاء سريع أجريته لأسماء المنتجين خلال القرن التاسع والعاشر

[1]-سعد الله أبو القاسم .م س . ص 87.

[2]-التنبكتي. م. س. ص 173

والحادي عشر والثاني عشر وجدت أن عددهم في القرن التاسع يفوق عددهم في القرون الباقية متفرقة، ولا سيما القرن العاشر الذي عرف نقصا كبيرا في عدد العلماء والمؤلفات وكثير من إنتاج القرن التاسع كان موضع عناية علماء القرون اللاحقة والتعليق عليه وتقليده، ونحو ذلك وكثير من علماء القرن العاشر كانوا تلاميذ أوفياء لعلماء القرن التاسع [1].

وقد انتشرت في هذه الظروف العصيبة، وهذا الزاد الثقافي مؤسسات علمية عبر مدارس شعت بنبراس العلم والثقافة وأضحت وسيلة هامة في إذكاء روح الوطنية والإسلام في نفوس أفراد المجتمع ، وانتقلت عبر كثير من المدن المغربية مثل فاس وتلمسان، بجاية وتونس التي أصبحت تنافس المشرق العربي، متبعة المذهب السني المالكي والعقيدي الأشعري الذي انقسم إلى اتجاهين: الاجتهاد والاعتقاد "فابن مريم صاحب كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان يذكر في حديثه عن الشريف التلمساني الذي كان مكلفا بالتدريس من طرف الملك أبي حمو الثاني أنه كان آخر الأئمة الراسخين المجتهدين الذين حييت بهم السنة، وماتت بهم البدعة (أحد فقهاء تلمسان كان وليا زاهدا وهو الشيخ الإمام ابن مرزوق الحفيد توفي 805ه، 1402، [2].و مطبوعة بصبغة التصوف، عن طريق المتصوف عبد الله الشريف و غيره من المتصوفين في القرن الخامس عشر الذي كان ميلادا لعدد كبير منهم ناهيك عن وجود معارضين لهذا المذهب كما يرد عن المستشرق الفرنسي ألفريد بيل صاحب العبارة المغرب البربري حيث يقول "حركة التصوف في المغرب الإسلامي قد عرفت ما يمكن أن نصفه بالركود خلال القرن الخامس عشر ميلادي، لكن قبل ذلك، وجدت الدعوة الغزالية أرضا

[1]–سعد الله أبو القاسم. م. س. ص 27.

[2]–عبد الرزاق قسوم. م. س. ص 22.

خصبة في المغرب الإسلامي، لم يسبق الدعوة أن وجدتها في سائر ديار الإسلام"[1].

تلك الدعوة الغزالية التي انتشرت في جميع المناطق المغربية بالرغم من وجود المعارضة والحكم المرابطي المنافي لهاو نهل منها عبد الرحمن الثعالبي.

[1]– عبد الرزاق قسوم. ص 24.

الفصل الثاني

التفسيـــــر بالمأثـــــور في قـــــراءة الثعـــالبي

لو قرأ بعض الأجانب المنصفين القرآن لقالوا : " لو وجد هذا المصحف في خلاة لعلم قارئه أنه كلام الله ، كما قالت (بنيا أبوت) أستاذة الدراسات السامية بجامعة الملكة في كاليفورنيا " القرآن مهما كان محتواه لكنه ليس من صنع البشر ، فإذا أنكرنا كونه من الله فمعناه : أننا اعتبرنا محمد هو الإله"[1].

فالقرآن الكريم محفوظ عند الله لا يطاله الزيف و النقصان " إنّا نحن نزّلنا الذكر و إنّا له لحافظون " [2] ، و هو مصدر الشعوب استقى منه الأدباء و العلماء و المفكرون نظرياتهم و مبادئهم و أفكارهم وأساليبهم بشهادة المفسرين مثل ابن قيّم الذين و قفوا على آياته و إعجازه المبين ، و دعوا إلى تأمل خطابه " تأمّل خطاب القرآن تجد ملكا له ملك كله ، و له الحمد كله ، أزمة الأمور كلها بيده ، و مصدرها منه ، موردها إليه مستويا على العرش لا تخفى عليه خافية من أقطار مملكته بما في نفوس عبيده مطّلعا على أسرارهم و علانيتهم ، منفردا بتدبير المملكة يسع و يرى ، يعطي و يمنع و يثيب و يعاقب و يكرم و يهين و يخلف و يرزق و يميت ويحيي و يقدر و يقضي و يدبر الأمور "[3] ، و شهادة الغربيين أمثال المستر ولز الذي قال في عظمته : " كلّ دين لا يسير مع المدنية في كل طور في أطوارها فاضرب به عرض الحائط و لا تبال به ، لأنّ الدين الذي لا يسير مع المدنية جنبا إلى جنب لهو شر مستطير على

---

[1] يوسف القرضاوي ، كيف نتعامل مع القرآن العظيم ، مركز بحوث السنّة و السيرة ، جامعة قطر، 1997 ص 20

[2] سورة الحجر الآية 09

[3] يوسف القرضاوي ، نفسه ص 21

أصحابه يجرهم إلى الهلاك وإن الديانة الحقة التي وجدتها تسير مع المدنية أنى سارت هي الديانة الإسلامية"[1] والعلّامة (إدوارد مونتيه) مدير جامعة جنيف الذي وجده سريع الانتشار من تلقاء نفسه وهذا راجع في نظره إلى تمشيه مع كل الأحوال و شدة إيمان المسلم فالإسلام "من أكبر وسائل تمدين الناس وترقية أحوالهم الاجتماعية والدينية والخلقية، والاقتصادية، لأنه حضارة في فترة من الزمن"[2].

لذا تقتضي حاجة المسلم والإنسان أن يفسر القرآن العظيم ويستلهم منه ما يعينه على التهيأ للدارين، لأن تفسيره من أجلّ وأشرف العلوم قال الأصفهاني"أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن . وقارئ القرآن دون تفسير كالأعمى أو كالأعرابي كما روى الطبري عن سعيد بن جبير "من قرأ القرآن، ثم لم يفسره، كان كالأعمى أو كالأعرابي"[4].

هذا التفسير الذي نحتاجه ليجعل منا طاقة متحركة لأن الإسلام" إطلاق للعقل لا حجر عليه، وإعمال له لا تعطيل لوظائفه"[5].

كيف لا وأول آية أنزلت كانت تدعو إلى القراءة، قراءة هذا الكتاب الكوني الخالد، مهاد كل العلوم و الآداب . قراءة ترفع الأمة الإسلامية إلى مصاف التطور والأمان.

---

[1]– محمد الصالح الصديق. هذا هو الإسلام.دار البعث .قسنطينة .1981 ص 07

[2]– نفسه ص 07.

[3]– محمد الغزالي. كيف نتعامل مع القرآن. دار الانتفاضة للنشر. الجزائر. 1990 .ص193

[4]– الطبري .مقدمة تفسير الطبري. دار المعارف. ص188

[5]– محمد الغزالي. م س ص 88.

غير أن أزمة المسلمين الآن هي أزمة فكر ومنهج، أزمة في أداة التوصيل وصنع قرار التعامل بعيدا عن الإيدولوجيات الباطلة والمعتقدات الزائفة، أزمة تحمل مسؤولية أمانة شرّف بها الله خليفته آدم، لأن العلاقة بين القارئ و النص تتأسس بالقراءة والمنهج كما يرى الغزالي "قائم في الكتاب وما أجمله الكتاب"[1].

تلك القراءة التي لا بدّ أن تخرج من دائرة الأزمة التعاملية التي نعاني منها في فهم القرآن ، ومن مشكلة التوصيل وافتقاد وسائل الفهم الصحيحة باعتبار أن المنهج كمصدر المعرفة موجود ومعصوم ومختبر تاريخيا مصداقا لقوله تعالى: "لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً "[2] وقوله أيضا "وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ " [3]

وقوله صلى الله عليه وسلم: " لو أن موسى كان فيكم حيا ما وسعه إلا أن يتبعني".

لذا فالدراسة المنهجية للقرآن الكريم يجب أن تتقدم كل دراسة أخرى لأن كتاب الله العزيز الحكيم هو كتاب عربي مبين والدارس لا يمكن أن يبلغ من المقاصد شيئا في غيره من الكتب فهو" مناط الوحدة الذوقية والوجدانية لمختلف الشعوب التي اتخذت العربية لسانا لها"[4].

كما أن النص القرآني هو نص إلهي مطبوع بالقطعية والقدسية وهو سلطة فوقية فنية وعلمية وروحية، تحتوي المجالات المتعددة وتساوق استثنائي نظمي وأدائي "فالخطاب القرآني كينونة قد تمثل على أنها المصدر العلوي عينه الذي

---

[1]– محمد الغزالي. م س. ص 150.

[2] –سورة المائدة الآية 50

[3]– سورة الأنعام .الآية 154

[4]– عامر السعد. التلقي والسياقات الثقافية .العراق قطر. ص18

يباشر ضمير المتلقي برسالة متكاملة، لا تغفل منزعا من منازع الحياة والوجود، تحريرا للفرد والجماعة، من نير الأسطورة واللامعقول الخرافي وربطا للنفوس بالخالق، وبعوالم الغيب المسوغة بآمالها لتجربة هذا الوجود الأرضي"[1].

ومنه فالتفسير هو الاتصال والانفصال، تلك هي استراتيجية الخطاب أي التفسير = الاتصال + الانفصال = وظيفة الخطاب.

والخطاب القرآني هو نموذج لتحقيق هذه العدالة الخطابية الاجتماعية والأخلاقية، وقد ورد لفظ الخطاب في القرآن كم مرة (ثلاث مرات) من خلال الآيات "رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنُ لاَ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً [2] وقوله تعالى: وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ, وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَاب"[3] وقوله تعالى: "فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ"[4]. و حمل عدة معان منها: التوجه بالحديث، والتفصيل والجدال "أما عبارة قل التي تدل على فعل الكلام بما في هذا الخطاب فقد تكررت أكثر من ثلاث مئة مرة في القرآن الذي لا يتعدى مجموع سوره مئة وأربع عشرة سورة كأن القرآن خطاب متشبع إلى أقصى درجة بالتنبيه إلى فعل المخاطبة وتأكيده حد

[1]– عشراتي سليمان الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر، 1998– ، ص9 1.

[2] – سورة النبأ الآية 37.

[3]– سورة ص الآية 19

[4] – سورة ص الآية 22

أن يبلغ الحض على هذا الفعل عدديا ما يقرب من ثلاثة أضعاف عدد السور التي تحتويه"[1].

ولمّا أجّل الله المفسرين جعلهم أعلى مرتبة تضاهي منزلة الأنبياء فهم العلماء ومن سلك طريقا يبتغي فيه علما سهّل الله له طريقا إلى الجنة، والعلماء المفسرون للقرآن ورثة الأنبياء إذ يحملون رسالة إلهية إلى الناس. قال تعالى "يُوتِي ٱلْحِكْمَةَ مَنْ يَّشَآءُ وَمَنْ يُّوتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ اوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ اُوْلُواْ ٱلاَلْبَـٰبِ "[2] .

هذا وعلم التفسير يستمد مدلولاته وأحكامه ومعانيه كما يرى الزركشي من "علم اللغة والنحو والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ. .

أما السيوطي فيجد أن علم التفسير يبحث في القرآن من خلال أسباب نزول الآيات وترتيب السور على أساس المكي والمدني، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ والخاص والعام، والمطلق والمقيد، والمجمل والمفصّل، والحلال والحرام، والوعد والوعيد والأمر والنهي.

ناهيك عن تجرد التفسير من كل الاعتقادات والأفكار السبقية والأهواء فالقرآن في نظره الأصل العام الذي ترجع إليه كل العقائد والأفكار والآراء "فهو

---

[1] – صلاح فضل الخطاب و النص [1]عالم المعرفة الكويتية 1992 ص237

[2] – سورة البقرة الآية 268

[3] – ابن عطية الأندلسي المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج1 تح : عبد السلام عبد الشافي محمد منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ط1 . 2001. ص04

المتبوع لا التابع، والحاكم لا المحكوم، والأصل لا الفرع"[1] جاء للناس كافة ولم يكن حنيفا أو مالكيا أو معتزليا أو شيعيا...و لا يحمل على مذهب أو مدرسة أو طريقة أو رأي.

كما ينقسم التفسير حسب المفسرين إلى أنواع استنادا إلى قول ابن عباس "التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى:"[2] وتعليق الزركشي في كتابه "البرهان" على صحة هذا التقسيم "فأما الذي تعرفه العرب فهو الذي يرجع فيه إلى لسانهم وذلك اللغة والإعراب، فأما اللغة فعلى المفسر معرفة معانيها ومسميات أسمائها، ولا يلزم ذلك القارئ ثم إن كان ما تتضمنه ألفاظه يوجب العمل دون العلم، كفى فيه خير الواحد والاثنين والاستشهاد بالبيت والبيتين، وإن كان يوجب العلم لم يكف ذلك، بل لابد أن يستفيض ذلك اللفظ وتكثر شواهده من الشعر .

فاختلاف تفسير المفسرين وتعدد قراءاتهم يرجع لعدة أسباب منها:

1- أن يكون في الآية أكثر من قراءة فيفسر كل منهم الآية على حسب قراءة مخصوصة.

---

[1]- القرضاوي م س ص239

[2]- محمد بن رزق بن طرهوني م س . ص 179.

[3]- محمد أبو الفضل ابراهيم البرها ن في علوم القرآن للزركشي..ج.2 دار الفكر. بيروت .ط1. 1988ص 159.

2-وجوه الإعراب مثلا في قوله تعالى: " وَمَا يَعْلَمُ تَاوِيلَهُۥ إِلاَّ ٱللَّهُۗ وَالرَّٰسِخُونَ فِے ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلاَلْبَٰبِ "[1] حيث قال بعضهم الراسخون مبتدأ وقال الآخرون عطف على الله.

3- المراد باللفظ لاحتماله أكثر من معنى.

4- احتمال الإطلاق والتقيد في الآية.

5- العموم والخصوص.

6- الحقيقة والمجاز.

7- الإضمار والإظهار.

8- النسخ والإحكام.

9- الاختلاف في الرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم".[2]

والتفسير يكاد يرادف التأويل باعتبار أن هذا الأخير هو وضع الكلم في موضعه وما يحتمله من معان، ويختلف عند بعض المفسرين مثل أبي عبيدة (التفسير) حيث يقول "التفسير أعم من التأويل، وأكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ، والتأويل في المعاني كتأويل الرؤيا، والتأويل يستعمل أكثره في الكتب

[1]- سورة آل عمران الآية07

[2]- محمد بن لطفي الصباغ. بحوث في أ صول التفسير و مناهجه .المكتب الإسلامي. بيروت. ط1 . 1988 ص46.

الإلهية، والتفسير يستعمل في غيرها وقيل، غير ذلك والراجح أن التفسير ما كان راجعا إلى الرواية وكلاهما آلية من آليات القراءة اهتم بها القدماء والمتقدمون وطورها باعتبارها "أعظم مشكلة كتراث ليصبح قضية تاريخ وعقيدة، قضية تاريخ التفسير نفسه"[1] ومهما يكن فالمتقدمون ساروا على نهج القدامى في التفسير" فمنهم من أخذ كلام غيره، وزاد عليه، ومنهم من اختصر ومنهم من علق الحواشي وتتبع كلام من سبقه، وهكذا لم يغير المتأخرون من منهاج المتقدمين"[2]

وما هذه التأويلات إلا ناتج عن صراعات مذهبية وسياسية وتاريخية، وناتج عن تباين الأذواق والعقليات والشخصيات والأوضاع

فالعالم اليوم مجبر "على استنطاق نصوص القرآن قرآنا وسنة وتراثا، والتوغل في أعماق هذه النصوص ليصل إلى مواقف الإسلام الحقيقية، ويكتشف نظريات الإسلام التي تعالج المواضيع التي عالجتها التجارب البشرية في شتى مناحي الحياة"[4].

والأفكار في نظر مالك بن نبي تقوم "بدور تصفية لكل ما كان دخيلا ومشتبه فيه باعتبار أن الأفكار القرآنية خاصة"[5].

وقد تعددت مناهج تفسير القرآن لتحقيق أهداف بلاغية لغوية أو فقهية أو كلامية أو صوفية أو فلسفية أو تربوية. مما أثار حفيظة بعض الباحثين عن الجديد فراحوا يعيبون على منهجية المفسرين القدماء في قراءة وتحليل الخطاب الديني

[1]–مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية .دار الفكر. دمشق. سوريا. ط4 .1984. ص 58.

[2]– نفسه ص 58.

[3]– جلال الدين السيوطي. الإتقان في علوم القرآن.ج4 .دار المعرفة . مصر. ص 172.

[4]– باب العياط نور الدين. المنهج البياني في تفسير القرآن. بنت الشاطئ نموذجا . ماجستير. 2007/2006.

[5]–مالك بن نبي. الصراع الفكري في البلاد المستعمرة. تر: عمر مستقاوي. دار الفكر. دمشق.ط3. 1988. ص 79.

واستدعاء أفكاره وجمالياته لأنهم في نظر محمد أركون "اقتصروا في بناء مفهوم الآية: العلامة والرمز على مقياس العبرة والموعظة وراحوا بسهولة يستخدمون آليات التعبير في النظام السيمائي خاصة فيما يتعلق بالخطاب الديني الصوفي، فمشكلة التمييز في معاني الخطاب وغياب المنهجية المجهزة المناسبة للخطاب وقع فيها الكثير من المفسرين الكلاسيكيين ــ...مفهومي التقدير والتضمين المستخدمين قد طبقا على الآيات الصريحة والواضحة أو الغامضة التي تتطلب تحليلا أعمق أو جهدا تفسيريا أكبر (نقصد بذلك الآيات المدعوة محكمات أو متشابهات) وهذان المفهومان التأويليان وضعا على طريق فهم المقال واللامقال، ثم المقال بواسطة اللامقال"[1].

ولعل المنهج الأمثل في تفسير القرآن الكريم يقوم على مبدأين أساسيين هما الرواية والدراية أو المعقول والمنقول أو السلف والخلف لأن القرآن الكريم كتاب كامل متكامل يحوي ما يناسب ويكفي العقول والقلوب إذ هو "الإنسان ذاته الذي يكتشف هذه المعلومات وينتفع بها... والبحث والتجريب والتطبيق من خواص العقل في الإنسان والقرآن يعالج بناء هذا الإنسان نفسه...بناء شخصيته وضميره وعقله وتفكيره كما يعالج بناء المجتمع الإنساني...فمن الخطأ المنهجي بحكم المنهج العلمي الإنساني ذاته، أن نعلق الحقائق النهائية بحقائق غير نهائية، وهي كل ما يصل إليه العلم البشري"[2].

ومن هنا فتفسير القرآن الكريم يمنح المسلم "رؤية كاملة ومنهجا متماسكا يجعل من الحياة خطوط متوازية لا تصطدم مهما امتد الزمن، فتجعل العلم مع

---

[1]– محمد أركون الفكر الإسلامي.تر وتعليق : هاشم صالح المؤسسة الوطنية لافوميك للكتاب .الجزائر. ص 158.

[2]– يوسف القرضاوي .م س . ص 352.

الإيمان أو تجعل ما وراء المادة مع المادة، أو تجعل السرائر الباطنة مع المشاعر الحسية، لا فواصل بينهما"[1].

ويحتاج إلى مفسر يلتزم بآداب وشروط منها:

1-الإلمام بأصول العلوم المتصلة بالتفسير، مثل القراءات والنسخ وأسباب النزول وأصول الفقه والتوحيد وفروع اللغة العربية.

2-الصدق والضبط في النقل، اجتناب التقليد والظن والتحييز والخلفية الفكرية والتجرد على الهوى.

3-الشجاعة الأدبية في قول الحق فمن أصعب الأمور دراسة الظاهرة القرآنية لأن عطاء القرآن متجدد لا ينقد ولا ينصب له معين ولا يمكن للباحثين فرادى أو جماعة.

4-صحة الاعتقاد والمقصد.

5-دقة الفهم.

6-البداية بتفسير القرآن بالقرآن والالتزام بحسن النية وحسن الخلق، التواضع واللين وعزة النفس.

وقد كان الصحابة مثالا صريحا يقتدى به "لأنهم كانوا حريصين على ألا يستقوا إلّا من تبعه الرباني الصافي و لأن الرجل منهم كان مسبقة لتتم صياغته

[1]- محمد الغزالي. م. س. ص 43.

صياغة قرآنية فريدة ولأنهم تلقوه للتنفيذ والعمل لا للثقافة والمتاع أو التذوق و الاطّلاع" "[1].

لذا يجب على المجتمع أن يواجه العصر "بأن يعطي لأصالة فكرته فعالية تضمن لها النجاح، إنه مدعو لأن يستعيد تقاليده العليا ومعها حسن الفعالية، وبدلا أن يغرق في تجميد أصالة فكرته، لابد له أن يبحث عن وسائل فعاليتها في عصرنا الحديث والمسألة مسألة مناهج وأفكار، فالمشكلة مشكلة أفكار لا مشكلة وسائل"[2].

[1]–عماد محمود عبد الكريم .حسن البنا و منهجه في تفسير القرآن الكريم. دار التوزيع و النشر الإسلامية. القاهرة .ط1 2004 .مصر. ص66.

[2]– مالك بن نبي. مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي. تر:د. سبامبركة،.د.أحمد شعبو. دار الفكر. دمشق..ط1 .1992.

التفسير بالمأثور في قراءة الثعالبي :

يكون بالقرآن أو بالسنة أو بالصحابة بشرط صحة السند ومعرفة الوضع من الحديث وأباطيل الخرافات.إضافة إلى تفطن المفسر بالمأثور لما يكيده الأعداء من خرافات وأحاديث موضوعة لا أساس لها من الصحة، وما تنأى به أقلام المذاهب الباطلة والعقائد الزائفة التي نسيت في غمرة مكائدها تعالي الإسلام و سموه .

والتفسير بالمأثور نوعان: أحدهما ما توافرت فيه الأدلة على صحته وقبوله، وثانيهما: ما لم يصح لسبب من الأسباب السابقة وهذا يجب رده ولا يجوز قبوله ولا الانشغال به إلا لتمحيصه أو التنبيه إلى ضلاله حتى لا يتغير به أحد"[1].

و هو لا يعني الجمع والنقل بقدر ما يلزم المفسر على ادّخار جهده لتزكية ذلك النقل على أساس صحة الأسانيد وموافقتها لمعاني الآيات، وهذا لا يكون إلاّ بالاجتهاد الذي يقوم على مصدر القرآن. حيث يرى ابن تيمية أن التفسير بالقرآن هو "أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر"[2].

فالقرآن الكريم كتاب اشتمل على أنواع من الأساليب مصداقا لقوله تعالى:"مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ [3]

---

[1]– محمد بن لطفي الصباغ م .س . ص 72.

2– نفسه ص 74.

[3]– سورة الأنعام . الآية 39

وهو أعلى مرتبة في الإعجاز، فيه الإيجاز والإطناب، العام والخاص، المقيد والمطلق، المجمل والمفصل الذي يكون بمقابلته للآيات فيبحث في الإجمال من جهة الاشتراك في اللفظ (الفعل والحروف) ومن جهة الإيهام (اسم جنس، اسم جمع، صلة الموصول، الضمير...).

كما ينظر في المقيد والمطلق وفي تخصيص العام والبيان بالمنطوق أو المفهوم، وتفسير اللفظة باللفظة، والمعنى بالمعنى والتفسير بالقرآن أيضا أحبّ الطرق مصداقا لقوله تعالى" وَإِذَ اَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلذِينَ ٱوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَناً فَلِيلاًۖ فَبِيسَ مَا يَشْتَرُونَ "[1].

وقوله "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰناً لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرىٰ[2] و : "وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ إِخْتِلَٰفاً كَثِيراً "[3].

و كان أول من سن هذا النوع من التفسير الرسول صلى الله عليه وسلم الذي نهى أصحابه عن الاختصام في آي القرآن وضرب آياته بعضا ببعض "أبهذا

[1] – سورة آل عمران الآية 81
[2] – سورة النحل الآية 89
[3] – سورة النساء الآية 81

أمرتم أم لهذا خلقتم؟ تضربون كتاب الله بعضه ببعض إن الله أنزل كتاب يصدق بعضه بعضا"[1].

وقد أكد هذا التفسير مجموعة من المفسرين ابتداءا من ابن كثير واضعين قواعد وضوابط له منها مراعاة سياق الآية والجملة، ومعرفة أسباب النزول الذي يراه الإمام ابن دقيق العبد" بيان سبب النزول طريق قوي على فهم معاني القرآن"[2].

فأسباب النزول توقفنا على معنى الآية و كذا معرفة السبب والمسبب كما يقول ابن تيمية "إن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب وهذا لا يعني أن تفسير القرآن قائم على سبب النزول، ومقتصر عنده فهو كتاب لكل زمان ومكان، وألفاظه تتعدى زمن النبوة .

وبالرغم من ذلك لم يسلم التفسير بالمأثور من آفات ظهرت في :

- وجود الضعيف والمنكر والموضوع من المنقول عن الرسول والصحابة وتابعيهم.
- تضارب الروايات بعضها بعض.
- تناول القرآن سورة سورة وآية آية، وكلمة كلمة.

ثم جاءت السنة جاءت لتشرح القرآن وتوضحه كما يقول ابن تيمية"فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قال الإمام الشافعي: كل

[1] – رواه البخاري
[2] – القرضاوي .م س ص232
[3] –السيوطي. م. س . ص 380

ما أحكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن"[1]. بشرط كما يرى الزركشي "الحذر فيه من الضعيف والموضوع، فإنه كثير قال الميموني: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ثلاثة: لا أصل لها، المغازي والملاحم والتفسير"[2]

كما جاءت لتخصيص العام، و تقييد المطلق، والتعريف بالمبهم، و بيان المجمل، وبيان الألفاظ ، و تفصيل القصص، وبيان النسخ مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: بم تحكم؟ قال: بكتاب الله، قال فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فان لم تجد قال اجتهد برأيي قال فضرب رسول الله صلى الله عليه و سلّم في صدره: وقال: الحمد لله الذي وفق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرضي.

أما الدعامة الثالثة في التفسير بالمأثور فهي أقوال الصحابة رضي الله عنهم القائمة على عدم وجود التفسير في القرآن والسنة "إذا لم تجد التفسير في القرآن فبالسنة، رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك بمن شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها، ولما هم عليه من الفهم التام والعلم الصحيح، لاسيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة، الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، وعبد الله بن مسعود، الذي قال: والذي لا إله غيره، ما نزلت آية من كتاب، إلا وأنا أعلم أني نزلت وفيم نزلت.

إذ تعلّم الصحابة الآيات من الرسول صلى الله عليه وسلم وعملوا بها، منهم عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، ابن عم رسول الله وترجمان القرآن

---

[1]– القرضاوي. م .س. ص 211.

[2] – نفسه ص212

[3]– ابن عطية.م.س.ص 17.

وحبر الأمة، الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم :"اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"[1].

وكان أعلم الناس في التفسير كما يرد عن المفسرين أهل مكة، بزعامة عبد الله بن عباس، قال ابن تيمية:"أعلم الناس بالتفسير أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد، وعفاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس وطاوس، وسعيد بن جبير، وأمثالهم، وتتميز هذه المدرسة بنهج المنهج اللغوي في تفسير القرآن ولا عجب فأستاذها ابن عباس فهو حفظ الشعر العربي، وسائل نافع بن الأزرق وأجوبة ابن عباس عليها تدل على مدى تبحره في ذلك"[2]

وبالنسبة لتفسير التابعين فيقوم حال عدم وجود التفسير بالقرآن والسنة والصحابة، منهم كما يرد عن ابن تيمية "مجاهد بن جبير فإنه آية التفسير وقتادة، وسعيد بن جبير وكرمة مولى ابن عباس، وعطاء والحسن البصري، ومسروق وابن المسيب، وأبي العانية، والضحاك بن مزاحم، وغيرهم

وهو أنواع:

1-ما له حكم الرفع.

2-ما أجمعوا عليه.

3-ما رجعوا فيه إلى أهل الكتاب و هذا له حكم الإسرائيليات'.

4-ما اختلفوا فيه.

5-أن يرد عن أحدهم ولا يعلم له مخالف.

---

[1]- أخرجه أحمد والبخاري.

[2]- ابن عطية .م س. ص 17-18

[3]- القرضاوي. م س . ص 216.

هذا ويجب الحذر عند قراء تنا لتفسير السلف من أمور يوضحها ابن تيمية "الخلف بين السلف في التفسير قليل، وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع الاختلاف تضاد، وذلك بصنفين:

1- أن يعبر كل منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتخاذ المسمى، كما قيل في اسم السيف الصارم والمهند.

2- قد يرد ويثبت عن بعض السلف تفسير أو أكثر للآية الواحدة مع كونهما مختلفين ويكون كل واحد منهما مخرجا على قراءة ما ورد عن بعض السلف في المتشابه من أنه لا يعلمه إلا الله والقول الآخر أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله، فهذان القولان مبناهما على موضع الوقف والوصف في آية آل عمران"[1].

وبالرغم من العيوب التي تشوب التفسير بالمأثور يبقى الثعالبي أمينا في الإتيان من هذا التفسير مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم "من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار ". ويظل من المفسرين الذين جعلوا هذا النوع من التفسير منهجهم مناط قراءتهم ومصدرا أولا يؤسّسون به هذه القراءة متخذا كتابه "الجواهر" نموذجا يذم فيه التفسير بالرأي من خلال بعض الأحاديث للترمذي ويشدد بالأخذ بغير القرآن أو الاجتهاد فيه دون علم، ففي معرض تفسيره للآية "صِرَٰطَ ٱلذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ۝٦ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ

[1]- مناع القطان. مباحث في علوم القرآن. مكتبة وهبة. القاهرة. ط7 .ص 208،209.

عَلَيْهِمْ وَلاَ ٱلضَّآلِّينَ "[1] يذكر " "عن ابن عباس وابن مسعود أن المغضوب عليهم اليهود، والضالون النصارى ثم قال: وذلك بين من كتاب الله تعالى لأن ذكر غضب الله على اليهود متكرر فيه كقوله تعالى: "وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ [2] وقوله: "قل هو أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليا والنصارى كان محققوهم على شرعة قبل ورود شرعة محمد صلى الله عليه وسلم، فلما ورد ضلوا وقد قال تعالى فيهم"وَلاَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَد ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ "[4].

وفي تفسيره للآية "أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلاَنْعَـٰمِ إِلاَّ مَا يُتْلىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ "[5] يجدها

[1]– سورة الفاتحة الآية 6–7
[2] – سورة البقرة الآية–60
[3]– الثعالبي . م س ص40.
[4]– سورة المائدة .الآية 79.
[5] – سورة المائدة الآية 02

فصلت ووضحت بالآية "إلا ما يتلى عليكم، بعد "حُرِّمَتْ عَلَيْكُ ٱلْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ[1] و الآية المستثناة فصلت وفسرت للآية السابقة.

و قد اتبع الثعالبي أساليب عديدة في عرض القضايا والمسائل منها:

1. عموم اللفظ من خلال تفسيره للآية "وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلأَرْضِ إِلاَّ عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ "[2] ومعنى لفظ دابة في الآية كل حيوان يحتاج للرزق.

2. لفظ عام ويراد به الخصوص مثل قوله تعالى:"ٱلذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ " فلا شك أن القائلين نفر من

[1] – سورة المائدة الآية 04
[2] – سورة هود الآية 06
[3] سورة أل عمران الآية 172.

الناس هم وفد عبد القيس بتحريض من عسكر قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه"[1].

3. يعرف معنى اللفظ من خلال سياقه تعالى:"وَكَمْ فَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَت ظَّالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً ءَاخَرِينَ "[2] فمعنى لفظ القرية من خلال السياق أهلها.

4. الإيجاز ثم التفصيل مثل قصة موسى وفرعون فهي معجزة في سورة البقرة ومفصلة في الأعراف، ويونس وطه.

5. إطلاق اللفظ ثم تقييده مثل قوله تعالى "ٱلذِينَّ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ اوْلَـٰٓبِكَ لَهُمُ ٱلاَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ "[3] قال أصحابه وأينا لم يظلم نفسه؟ فنزلت" يَـٰبُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ "[4].

[1] الثعالبي .ج2.م. س. ص267.

[2] سورة الأنبياء. الآية 11.

[3] سورة الأنعام الآية 83.

[4] – سورة لقمان الآية 13.

6. لفظ عام في موضع يراد به الخصوص في موضع آخر مثل قوله تعالى:"مِّن قَبْلِ أَنْ يَّاتِىَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَخُلَّةٌ وَلاَ شَفَـٰعَةٌ "[1] فنفى عموم الخلة والشفاعة، ثم قال في آية أخرى "أَلاَخِلاَّءُ يَوْمَبِذِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ اِلاَّ أَلْمُتَّقِينَ "[2].فاستثنى المتقين، وقال تعالى:"وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى اِلسَّمَـٰوَٰتِ لاَ تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا اِلاَّ مِنۢ بَعْدِ أَنْ يَّاذَنَ أَللَّهُ لِمَنْ يَّشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ "[3] فاستثنى الشفاعة بعد الإذن والرضا، فلا شفاعة يومئذ إلا لمن أذن له سبحانه"[4].

و منه يظهر الثعالبي في تفسيره بالسنة متمسكا وعارفا بعلم الحديث حيث حشد مجموعة من الأحاديث وهو يوضح بعض الآيات وأغلبها من الأحاديث الصحاح التي توافق معنى الآية ولا تعارضه مستقيا من بعض الكتب التي تعني بهذا النوع من التفسير مثل القرطبي في التذكرة وعبد الحق الإشبيلي في العاقبة ومصابيح البغوي "كتابي هذا محشو بنفائس الحكم، وجواهر السنن الصحيحة

[1]– سورة البقرة الآية252.

[2]– سورة الزخرف الآية 67.

[3] – سورة النجم. الآية 26.

[4]– الثعالبي. ج1. م س ص642.

والحسان المأثورة عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم"[1] فالسنة في نظره جاءت مبينة وموضحة لما أجمل في القرآن الكريم .مثلما

يظهر في تفسيره للآية القرآنية ﴿ٱلذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ "[2] التي يستند إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم "ائتمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فإذا رأيت دنيا مؤثرة وشحا مطاعا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك، وذر عوامهم فإن وراءكم أياما أجر العامل فيها كأجر خمسين منكم . الذي يوضح معنى الآية وهو ضرورة إصلاح النفس بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فالحديث في قراءة الثعالبي يخصص ما جاء عاما في القرآن، ويوضح ما تردد في ترجيحه، ويشرح ويرد تأويل الآية إلى معنى الحديث حيث ردّ ترجيحه للمعنى من خلال تفسيره للآية "﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَاعْمَلُواْ صَـٰلِحاً إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ "[4] إلى الحديث عن مسلم والترمذي عن أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:"إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين".

---

[1] – الثعالبي. م س. ص09.

[2] – سورة المائدة الآية 107

[3]– رواه الترمذي

[4] – سورة المؤمنون الآية 52.

وفي تفسيره للآية "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَـٰقِيهِ ۞ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا "[1].

يبين أن الحساب اليسير هو العرض، ومن نوقش الحساب هلك، ويستشهد على صحة ذلك بما ورد في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلاته: "اللهم حاسبني حسابا يسيرا، فلما انصرف قلت يا رسول الله ما الحساب اليسير؟ قال: أن ينظر في كتابه ويتجاوز عنه، إنه من نوقش الحساب هلك، وكل ما يصيب المؤمن يكفر الله عنه حتى الشوكة تشوكه"[2].

و في معرض تفسيره للآية"وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَّدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ " يستدل بحديث صحيح إذ يقول "و في الصحيحين عن النبي صلى اله عليه و سلم قال كان رجل يداين الناس وكان يقول لفتاه إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا قال فلقي

[1] – سورة الانشقاق.الآية 6-8

[2]– الثعالبي.ج4 . م. س ص 488.

[3] – سورة البقرة. الآية 280

الله فتجاوز عنه وفي صحيح مسلم من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسرا و يضع عنه"

كما يجمع بين الآية والحديث ويوفق بينهما دفعا للتعارض. و هذا التوفيق بينهما يعتبر نوعا من أنواع الترجيح بين النصوص عند التعارض. وقد استعمل الثعالبي هذه الطريقة في تقرير بعض المسائل الاعتقادية مثل في تفسيره لقوله تعالى"ٱلذِينَ تَتَوَفّيٰهُمُ ٱلْمَلَٰبِكَةُ طَيّبِينَ يَقُولُونَ سَلَمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ [1].

حيث يشير إلى أنّ الله سبحانه علق دخول المؤمنين الجنة بأعمالهم من حيث جعل الأعمال أمارة لإدخال العبد الجنة، ولا معارضة بين الآية وقوله صلى الله عليه وسلم، لا يدخل أحد بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال "ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة"[2].

والآية ترد بالتأويل إلى معنى الحديث ويعضده بما ذكره ابن عطية أنه من الرحمة والتغمد. أن يوفق الله العبد إلى أعمال برة، ومقصد الحديث نقي وجوب ذلك على الله تعالى بالفعل كما ذهب إليه فريق من المعتزلة .

[1] – سورة النحل الآية 32

[2]– رواه البخاري ومسلم.

[3] – الثعالبي .ج2.م س ص424

وفي تفسير قوله تعالى:"وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ فَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُمْ "[1]. يورد ما جاء في الحديث المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن هذا، وكان سلمان إلى جنبه فوضع يده على فخده وقال: قوم هذا لو كان الدين في الثريا لنا له رجال من أهل فارس"[2]

ثم يعقب بقوله: وليس لأحد مع الحديث إذا صح نظرا ولولا الحديث لاحتمل أن يكون الغير ما يأتي من الخلف بعد ذهاب السلف على ما ذكر في غير هذا الموضع"[3].

وقد حرص الثعالبي في تفسيره بتخريج الأحاديث سواء المنقولة عن مصادرها الأصلية أو مراجع لا سند لها، كما اهتم بصحة الحديث من ضعفه وأشار إلى ذلك.

وفي معرض تفسيره للآية" سِيمَاهُم فِي وُجُوهِهِم مِّنَ اَثَرِ اِلسُّجُودِ "[4]

ينقل حديثا أخرجه صحيح البخاري ومسلم في أنس قال: مروا بجنازة فأثنوا عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم وجبت ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا فقال

[1] – سورة محمد الآية38
[2]– رواه البخاري ومسلم
[3] – الثعالبي ج 4 م س ص234
[4] – سورة الفتح الآية 29

وجبت، فقال عمر: وما صلى الله وجبت فقال: هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض"[1].

كما يعرض حديثا عن ابن ماجه عن عمر بن حزم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"ما من مؤمن يعزي أخاه في مصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة وهذا في معرض تفسيره للآية."ٱلذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ".[2]

ثم يرجح أحد الأحاديث على الأخرى ويأخذ بها على أساس نقده لها سواء سندا أو متنا، مثل ما جاء في تفسيره للآية "وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَاٱلْمُسْتَـٰخِرِينَ "التي يورد فيها حديثا رواه الترمذي) في بيان سبب نزول هذه الآية ويورد حديثا رواه الترمذي عن ابن عباس أنه قال: كانت امرأة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ابن عباس: والله ما رأيت مثلها قط قال: فكان بعض المسلمين إذا صلوا تقدموا وبعضهم يتأخر فإذا سجدوا نظروا من تحت أـــيديهم فأنزل الله هذه الآية.

و من ثم يورد أهم أقوال المفسرين في بيان معنى الآية :

[1]– الثعالبي.م س. ص 249.
[2] – سورة البقرة .الآية 155
[3] – سورة الحجر. الآية 24

1-هذا القول السابق.

2-المتقدمين في الخلق إلى اليوم والمتأخرين الذين لم يخلقوا بعد بيان أن بعلم الموجود والمعدوم.

3-من مات، ومن بقي.

4-المستقدمين سائر الأمم والمستأخرين إلى أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

5-المتقدمين في الطاعة والمتأخرين في المعصية.

و ضعف الثعالبي الحديث في تأويله باعتباره صادرا من بعض المنافقين غير مترسخي الإيمان، وأيضا على أساس صغر سن ابن عباس آنذاك" والحديث المتقدم إن صح فلا بد من تأويله فإن الصحابة ينزهون عن فعل ما ذكر فيه، فيؤول بأن ذلك صدر من بعض المنافقين أو بعض الأعراب الذين قرب عهدهم بالإسلام ولم يرسخ الإيمان في قلوبهم، وأما ابن عباس فإنه كان يومئذ صغيرا بلا شك، هذا إن كانت الآية مدنية، فإن كانت مكية فهو يومئذ في سن الطفولة وبالجملة فالظاهر ضعف هذا الحديث من وجوه"[1].

والثعالبي حين يضعف الأحاديث الضعيفة يصحح الصحيح منها حين يورد حديثا من خلال تفسيره للآية " يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۖ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [2] أن النبي صلى الله عليه

[1] -الثعالبي ج2 .م س ص402

[2] - سورة التحريم الآية 01

وسلم جاء إلى بيت حفصة فوجدها قد مرت إلى بيت أبيها فدعا جاريته مارية فقال معها، فجاءت حفصة وقالت: يا نبي الله أفي بيتي وعلى فراشي فقال مرتضيا لها: أيرضيك أن أحرمها، قالت: نعم فقال:اني قد حرمتها وحديثا آخر عن عائشة يذكر أن التحريم المذكور في الآية بسبب العسل الذي شربه صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش فتمالأت عائشة وحفصة وسودة بنت زعمة على أن تقول له من دنا منها إنا نجد منك ريح مغافير يا رسول الله. ثم صحح الثاني المنقول عن مسلم والبخاري ويرى الثعالبي أن معظم المفسرين كانوا يتساهلون في نقل الأحاديث الخاصة بالفضائل بينما يتشددون في الخاصة بالأحكام قال الثعالبي: "قال ابن عبد البر: أهل العلم بجماعتهم يتساهلون في الفضائل فيروونها عن كل، وإنما يتشددون في أحاديث الأحكام"[1].

هذا ولم يعتمد الثعالبي على كل الأحاديث الضعيفة بل سكت عن بعضها في الفضائل قياسا على جواز العمل بها عند العلماء والفقهاء ومنه وضع بعض متأخريهم ثلاثة شروط للعمل بالحديث الضعيف في الفضائل وهي:

1-أن يكون الضعف غير شديد.

2-أن يكون مندرجا تحت أصل عام.

3-ألا يعتمد عند العمل به ثبوته لئلا ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله"[2].

[1]- ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلمية، بيروت 225.

[2]- عبد الرزاق دحمون .م س . ص 135.

ومن خلال تفسيره للآية: "وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ٱلذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ "[1].

يورد حديثا ضعيفا للترمذي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"من عزى مصابا قله مثل أجره"[2].

أما في فضل سورة الكهف يورد حديثا عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نورا من مقامه إلى مكة أو من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة .

وفي تفسير الآية "فَلَنُذِيقَنَّ ٱلذِينَ كَفَرُواْ عَذَاباً شَدِيداً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ "[4] ينقل حديثا ضعيفا وقصصا باطلة نص على ضعفها منها ما روي عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: خرجت مرة فمررت بقبر من قبور الجاهلية فإذا رجل قد خرج من القبر يتأجج نارا في عنقه سلسلة، من ماء، فلما رآني قال:"يا عبد الله، اسقني فقال: فقلت عرفني فدعاني باسمي أو كلمة تقولها العرب فدعاني عبد الله لا تسقه فإنه كافر ثم أخذ السلسلة فاجتذبه، فأدخله القبر، قال: ثم أضافني إلى بيت عجوز إلى جانبها قبر

[1]- سورة البقرة .الآية154-155.

[2]- الثعالبي.ج1.م س. ص309

[3]- الثعالبي. ج2 .نفسه. ص 508.

[4] سورة فصلت الآية 27

للعجوز ما هذا فقالت كان زوجا لي، وكان إذا بال لم يتق البول، وكنت أقول له ويحك إن الجمل رجل بال تفاح، وكان يأبى فهو ينادي من يوم مات، بول وما بول، قلت: فما الشن؟ قالت جاء رجل عطشان فقال اسقني، فقال: دونك الشن، فإذا ليس فيه فخر الرجل ميتا فهو ينادي منذ أن مات شن وما شن، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته فنهى أن يسافر الرجل وحده.

كما يضعف حديث الترمذي عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم "لما حملت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال لها، سمه عبد الحارث فعاش ذلك، فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره ويوجه معناه بقوله: "هذا الحديث ليس فيه أنهما أطاعاه، وعلى كل حال الواجب التوقف والتنزيه لمن اجتباه الله، وحسن التأويل ما أمكن"[1]. مستندا إلى قول ابن العربي: أن هذا القول ونحوه مذكور في ضعيف الحديث في الترمذي وغيره"[2] و إلى رأي ابن عطية من خلال الآية القرآنية "فَلَمَّا تَغَشَّيٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ "[3].

[1]- الثعالبي.ج2. م س 396.

[2]- عبد الرزاق دحمون. م.س ص 133.

[3]- سورة الأعراف الآية 189.

والثعالبي في قراءته لتفسير الصحابة والتابعين ينقل عنهم عند صحة السند مثل ما جاء في تفسيره للآية "لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ "[1] الذي ينقل فيه عن الصحابة مثل ما نقل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يفسر الآية "وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلاَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ "[2] حيث يراها شاملة للمؤمن والكافر وليس ما يدل عليه ظاهر الآية من أنها خاصة بالكفار، وأكد ذلك بالاستناد إلى السنة حيث يقول:"وهذه الآية، وإن في الكفار فهي رادعة لأولي النهي من المؤمنين عن الشهوات واستعمال الطيبات ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه: أتظنون أنا لا نعرف طيب الطعام ذلك لباب البر بصغار المغري ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم أنهم أذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا، ذكر هذا في كلامه مع الربيع بن زياد (مات في عهد عمر)، وقال أيضا نحو هذا لخالد بن الوليد حين دخل الشام فقدم إليه طعام طيب فقال عمر: هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا ولم يشبعوا من خبز الشعير، فقال خالد لهم الجنة فبكى عمر وقال: لإن كان حظنا في

[1]– سورة الحجر الآية 72 .

[2]– سورة الأحقاف الأية 20.

الطعام وذهبوا بالجنة فقد بانوا بونا بعيدا وقال جابر بن عبد الله اشتريت لحما بدرهم فرآني عمر فقال: أو كلما اشتهى أحدكم شيئا اشتراه فأكله، أما تخشى أن تكون من هذه الآية "أذ هبتم طيباتكم"[1].

وبذلك نجد الثعالبي مؤيدا لقول عمر بن الخطاب بمجموعة من الأحاديث.

ناهيك عن اعتماد الثعالبي على أدوات اجتهادية منها :

-معرفة أوضاع اللغة العربية و أسرارها فإن ذلك يعين على فهم الآيات التي لا يتوقف فهمها على غير لغة العرب فقد ورد عن عمر بن الخطاب أنه قال"عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا و ما ديواننا قال شعر العرب فان فيه تفسير كتابكم و معاني كلامكم.

-معرفة عادات العرب في أقوالها وأفعالها في عصر التنزيل فذلك مما يعين على فهم القران ويبعد من الوقوع في الشبه .

من هنا نهج الثعالبي المنهج العلمي في تفسيره بالمأثور الذي تميز بخصائص منها :

-تخريج الأحاديث في تفسير القرآن مثل الحديث الذي أورده في معرض تفسيره للآية القرآنية "إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَالْمَسَٰكِينِ وَالْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَالْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

[1]- الثعالبي.م.س ص 408.

وَابْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ "[1] لاختلاف الناس

فيه فقد فسر الفقراء والمساكين بما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين بهذا الطواف الذي ليس له غنى يغنيه و لا يتفطن له فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس .

-جمع الروايات المختلفة و مقابلتها ثم تلخيص الرواية الصحيحة و ترجيحها لتفسير الآية الواحدة مثل تفسيره للآية "إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ إِثْنَا

عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ الله" [2] وهذا راجع لإلمام الثعالبي بالسيرة النبوية التي

جعلته يقف عند الأخبار الصحيحة ويكون على دراية بالضعيفة و الواهية التي يتناهى الثعالبي عن الأخد بها

و يحذر منها و نجده كثيرا ما يبحث عن الخبر القاطع و الفاصل لكل الأخبار التي لا رأي فيها مثل ما جاء في تفسيره للآية"خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ

جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا .

فضلا عن ذلك يوظف الثعالبي اللغة في تفسيره بالمأثور لشرح الألفاظ الغريبة (القراءة على النظام اللغوي في النص) معتمدا في كتابه الجواهر على

[1] – سورة التوبة الآية 60
[2] – سورة التوبة. الآية 36
[3] – سورة الزمر. الآية 07

معظم المعاجم اللغوية "واعتمدت في بيان ذلك وإيضاحه على صحاح أبي نصر إسماعيل بن حماد حسين الزبيدي، وشرح الغريبين، غريب القرآن وغريب الحديث لأبي عبد أحمد بن الهروي و"مشارق الأنوار" لأبي الفضل عياض اليحصبي وإن نقلت من غيرهم عزوته لمن نقلت عنه"[1] مثل ما جاء في معرض تفسيره للآية:"وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ "[2].حين ينقل عن المبرد في شرح لفظ "مهيمن"

بأنه شاهد صدق ومؤتمن "مهيمن أصله مؤتمن لأي من أمين أبدلت همزته هاء، كما قالوا أرقت الماء وهرقته، واستحسنه الزجاج".

كما ينقل عن الزبيدي والجوهري في شرح لفظ خاوية من الآيةَّ " وَهِيَ

خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا حيث قال الزبيدي في مختصره العين في كتابه "

تاج اللغة وصحاح العربية: "خوت النجوم خيا امحت وذلك إذا أسقطت ولم تمطر في نوئها، وأخوت مثله وخوت الدار خواء ممدودا أقوت وكذلك إذا سقطت"

وأيضا ينقل عن الخليل في شرح كلمة "الويل' من خلال تفسيره للآية:"فَوَيْلٌ لِّلذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ [5] حيث يقول "الويل

[1]– الثعالبي.م س ص 464.
[2] – سورة المائدة الآية 50
[3] – سورة البقرة الآية 258
[4]– الثعالبي. نفسه . ص464
[5] – سورة البقرة الآية78

شدة الحر، وهو مصدر لا فعل له ويجمع على ويلات والأحسن فيه، إذا انفصل الرفع، لأنه يقتضي الوقوع، ويصح النصب على معنى الدعاء أي حقيقي"[1].

ولا يكاد تفسيره يخلو من القراءة الشعرية قياسا على طريقة الصحابة والتابعين في اعتماد الشعر العربي القديم للوقوف على معاني الألفاظ، فهو ينقل عن ابن عطية ومختصر الصفاقسي لأبي حيان في اعتماد الشواهد الشعرية، "ذكر القرطبي، أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب"[2] فمثلا ما نقل عن ابن عطية في تفسير كلمة الحواري من خلال الآية: "قال الحواريون من أنصار الله، فقد شرحها الحور البياض من قول الشاعر عن أبي حلزة اليشكري.

فقل للحوريات يبكين غيرنا ولا تبكنا إلا الكلاب النوابح

وقد اهتم الثعالبي في تفسيره أيضا بالنحو وشرح المفردات اللغوية اعتمادا على تفسير البحر المحيط لأبي حيان.دون أن يسترسل في تحكيم الصناعة النحوية في تفسير كلام الله بمجرد الاحتمال النحوي.

من أمثلة ذلك تفسيره للآية"إِنَّ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَالذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَـٰرىٰ وَالصَّـٰبِينَ مَنَ ـامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلاَخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً

[1]– الثعالبي .م س. ص529

[2]– القرطبي. الجامع لأحكام القرآن.. ج 1 .دار الشعب .القاهرة .ص24

قَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلاَ خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلاَ هُمۡ يَحۡزَنُونَ "[1]

حيث اختلف في إعراب لفظ الصابئين فذهب سيبويه إلى التقديم والتأخير (المقدم الذي معناه التأخير).

وذهب الصفاقسي إلى حذف خبر إن والتقدير إن الذين آمنوا لهم أجرهم.

وتفسيره لقوله تعالى:"فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ "[2]حيث يورد رواية ابن هشام نصب الفعل أمات لمائة وأمات سلب للحياة والأصح ألبثه الله بالموت.

و قد تعرض للإعراب و النحو من خلال تفسيره للآية "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلاَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ حيث يرى أن الخطاب هنا عام و لفظ (ما) يفيد الذي و كلمة (حلالا) واقعة حالا و صاحبها الضمير العائد على ما ولفظ (طيبا) واقعة نعتا أو حالا من الضمير في (كلوا) وتقدير الكلام مستطيبين.

[1] – سورة البقرة الآية 61.
[2] – سورة البقرة الآية 258
[3]– سورة البقرة الآية 167

- **قراءة الثعالبي للإسرائيليات في القرآن:**

تعني الإسرائيليات ما يروى عن بني إسرائيل والنصارى من حكايات وقصص استمدت ثقافتها الدينية من الإنجيل ودخلت المجتمع المسلم. وهي ثلاثة أقسام:

1- ما يعلم صحته وهو منقول عن النبي صلى الله عليه وسلم مثلا: اسم صاحب موسى الخضر ورد في الشرع ما يؤديه.

2-ما يعلم كذبه وهو مناقض للشرع والعقل لا يقبل.

3-ما هو مسكوت عنه، تجوز حكايته مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا"[1].

و إن اشتمل القرآن على هذه الثقافات خاصة في حياة الأنبياء وأخبار الأمم، لم يقف عند التفاصيل، واهتم بالعظة والعبرة من كل قصة، على خلاف التوراة والإنجيل فدخول أهل الكتاب إلى الإسلام حمل هذه الثقافات التي كان الصحابة يقبل ببعضها مما لا يخالف العقيدة ولا يؤثر على الأحكام لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم"لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما انزل إلينا" وقوله أيضا:" بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" وقد أطلق عليها الإسرائيليات لكون اليهود أشد اختلافا من النصرانيين بالمسلمين. قال ابن خلدون "وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات، وبدء الخليفة وأسرار الوجود، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم، ويستفيدون منهم، وهم أهل التوراة من اليهود،ومن تبع دينهم من النصارى، فامتلأت التفاسير من المنقولات عنهم

[1]- محمد حسني الذهبي. التفسير و المفسرون. ج1. مكتبة وهبة. القاهرة. ص 130.

أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم، وليست من يرجع إلى الأحكام فيتحرى فيها الصحة التي يجب بها العمل، وتساهل المفسرون في مثل ذلك ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك، إلا أهم بعد صيتهم وعظمت أقدارهم، لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة، فتلقيت بالقبول منه يومئذ"[1] وأشهر رواة الإسرائيليات: عبد الله بن سلام، وكعب الأحبار ووهب بن منبه، وعبد الله بن عبد العزيز بن جريج.

ومنه دخلت الاسرائليات بأنواعها مجال التأويل عند بعض المفسرين الذين وجب أن يقفوا موقف رد الإسرائيليات المعارضة للقرآن والسنة والأصول الإسلامية، لأن القرآن كلام لا يأتيه الباطل وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى مع العلم أن بني إسرائيل أساءوا كثيرا إلى الأنبياء إلى حد القتل ومسوا شرفهم واتهموهم بالزنا والفواحش، قال ابن الجوزي في كتاب (القصاص والمذكرين) "إن القصص لأخبار المتقدمين تندر صحته خصوصا ما ينقل عن بني إسرائيل وفي شرعنا غنية وقد جاء عمر بن الخطاب بكلمات من التوراة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: "أمطها عنك يا عمر خصوصا إذ قد علم ما في الإسرائيليات من المجال كما يذكرون أن داود – عليه السلام– بعث أوريا حتى قتل وتزوج امرأته"[2] وهو النبي داود عليه السلام الذي كان حكيما وقاضيا بين الناس .

ولهذا يجب رد هذه الإسرائيليات التي تتعارض مع القرآن و لا يقبلها العقل والقران الكريم غني عن هذه الكتب و جامع وشامل لكل الديانات، جاء فيه

[1]– ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون م س. ص 490 .

[2]– محمد بن لطفي الصباغ. م .س. ص 157.

من القصص ما لا يضاهيه كتاب آخر، وهو القول الفصل الذي لا قول قبله وبعده محفوظ عند الله لا يطاله نقص أو بطلان.

قال ابن كثير: وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين، وكذا طائفة كثيرة من الخلف، من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد، وليس بهم احتياج إلى أخبارهم، ولله الحمد والمنة، حتى إن الإمام أبا محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، رحمه الله أوردهنا أثرا غريبا لا يصح سنده عن ابن عباس"[1].

وما الإسرائيليات إلا فتنة يراد بها مسّ الإسلام بالسوء والإسلام بعيد عن مؤامراتهم "وَدَّت طَّآبِفَةٌ مِّنَ اَهْلِ اِلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ وَدَّت طَّآبِفَةٌ مِّنَ اَهْلِ اِلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ "[2].

لذا يجب على المفسر أن لا ينكر شيئا من الإسرائيليات إلاّ بقدر الحاجة فلا يخلط الصحيح مع العليل. وفي حال تعدد الروايات في أسباب النزول يقتصر على الصحيح في حال الثبوت و الصريح في العبارة و الجميع في حال تقارب الزمان و تكرار النزول أو ترجيحه في حال تباعد الزمان .

أما علاقة الإسرائيليات بالتفسير فقد بدأت منذ عهد الصحابة واعتبرت مصدرا من مصادر التفسير في النقاط المشتركة بين القرآن والتوراة والإنجيل

[1]–محمد بن لطفي الصباغ. م س. ص158.

[2] – سورة آل عمران. الآية 68

.مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "بلغوا عني ولو آية، وحدّث وعني بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"[1].

وكانت الإسرائيليات في المسائل التي أوجز فيها القرآن وكان الصحابة يسألون عما يوضح قصة ويبين ما أجمله القرآن فيها "ولم يكونوا يسألون عما هو ضرب من اللهو والعبث، كالسؤال عن لون كلب أهل الكهف، ومقدار سفينة نوح، واسم الغلام الذي قتله الخضر"

كما كثر الأخذ بالإسرائيليات التي تواردت في معظم كتب المفسرين في عهد التابعين كسد لفراغ تفسيري عندهم منهم" مقاتلي بن سليمان (ت 150ه) و"وهب بن منبه (ت 110ه) حتى كان شغفهم بالإسرائيليات يدخل الشك في صحة الكثير من الأخبار.

إلى أن جاء عهد التدوين فحدّ من ظاهرة الشغف بالروايات الإسرائيلية إلى مدى بعيد تلك الظاهرة التي تولدت عن اعتبارات اجتماعية وأخرى دينية مثلما يوضح ابن خلدون حيث يجد "أن من الأسباب الاجتماعية البداوة والأمية العربية، وتشوقهم إلى مثل هذه الروايات سيما في النشأة والتكوين، ما. أثر. سلبا على التفسير بعدما توغل المفسرون في الأخذ بها . و أخلط الأمور على الصحة منها والكذب، وأصبح المفسرون الذين يأخذون بها في قفص الاتهام .

و لقد شذ الثعالبي عن الأخذ بالإسرائيليات بالرغم من انتشارها في مجموعة التفاسير، فاقتصر على المنقولات الصحيحة مثلما اختصر وذكر المهم

---

[1]–رواه البخاري.

[2]– محمد حسين الذهبي .م س . ص170.

والأصح، وقطع الاختلاف الحاصل عن فتية الكهف في معرض تفسيره لسورة الكهف.و أبطل الإسرائيليات وزيّفها مستندا إلى أقوال الأئمة الأعلام، ففي تفسيره للآية:" وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ "[1]. ينقل الثعالبي

في قصة هاروت وماروت ما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما كما جاء عن القاضي عياض "اعلم أكرمك الله أنّ هذه الأخبار لم يرو منها سقيم ولا صحيح، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيء يؤخذ بالقياس، والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه، وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف، وهذه الأخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله أول الآيات"[2]

و نقل في تفسيره للآية "وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ

ٱلۡمِحۡرَابَ ما جاء في الإسرائيليات حيث يقول: "أما نازلته وقع فيها

للقصاص تطويل، فلم نر سوى ذلك لعد صحته، روي في ذلك عن ابن عباس ما معناه أن داود عليه السلام كان في محرابه يتعبد إذ دخل عليه طائر حسن الهيئة فمد يده إليه ليأخذه فزال مطمعا له من موضع إلى موضع حتى اطلع على امرأة لها.. نظر وجمال، فخطر في نفسه أن لو كانت من نسائه وسأل عنها فأخبر أنها

[1]– سورة البقرة الآية 101.

[2]– القاضي عياض. الشفا بتعريف حقوق المصطفى. ج 2 .دار الكتب العلمية. بيروت. ص175.

[3]– سورة ص .الآية 20

امرأة "أوريا" وكان الجهاد فبلغه أنه استشهد فخطب المرأة وتزوجها، فكانت أم سليمان فيما روي عن قتادة فبعث الله الخصم ليفتي"[1].

فداود النبي المختار من خلال هذه الرواية الإسرائيلية اتهم بالزنا ما عدا الله من زوجه أحد جنده أوريا الذي استغل مقتله في المعركة. وقد حرم كل من حدث كذبا عن النبي داود عليه السلام حيث قال علي بن أبي طالب في هذا . "من حدث بما قال هؤلاء القصاص في أمر داود جلدته حدين لما ارتكب في حرمة من رفع الله قدره..

والثعالبي كما ذكرنا من الذين شذوا عن هذه الروايات الملفقة، و لم يغفلوا عن الأسانيد الصحيحة التي توافق ما جاء في كتاب الله فكان تارات يورد رواية إسرائيلية ثم يعلق عليها مثلما جاء في تفسيره للآية: وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً "[2] حيث يبين أن بني إسرائيل جاءوا ليفسدوا في الأرض، ورواياتهم الكاذبة مظهر من مظاهر الإفساد فهو يعلق على "قصة الملك الذي أراد أن يتزوج ابنته فنهاه يحي بن زكريا عليهما السلام عن ذلك...إلى أن تنتهي القصة .بقتل

[1]- الثعالبي . ح4 . م .س. ص51.

[2]- سورة الإسراء الآية-04

يحي عليه السلام –وبعد إيراد الروايات المختلفة لهذه القصة، علق عليها بقوله في بعض الروايات زيادة ونقصا"[1].

و جاء في تفسيره للآية "وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ "[2] أن "قد أكثروا في

قصص هذه الآية بما لا .يوقف على صحته" كما نقل نص أبي بكر العربي الذي حكم على هذا القول بالزيف و الوهن حيث قال "وهذا القول ونحوه مذكور في ضعيف الحديث في الترمذي و غيره وفي الاسرائيليات التي ليس لها أساس ثابث ولا يعول عليه

و منه فقد اعتمد الثعالبي في تفسيره على نقل نوعين من الروايات الإسرائيلية هما

الصحيحة المنقولة عن النبي صلى .الله عليه وسلم والمسكوت عنها .(في صحتها و كذبها)

وأغفل النوع الكاذب المناقض للقران الكريم..

- **<u>قراءة الثعالبي لآيات الأحكام:</u>**

سعة علم الثعالبي في الفقه المالكي والمذاهب السنية وضع له يدا في تفسير القرآن الكريم بآيات أحكامه معتمدا على تفسيرات بعض العلماء المالكين منهم: القاضي أبي بكر ابن العربي صاحب كتاب أحكام القرآن المصدر الأوّل الذي استعان به خاصة في استنباط الأحكام الشرعية ، مثل ما جاء في تفسيره لقوله

[1]– الثعالبي ج2 م.س. ص459.
[2] – سورة ص الآية33
[3] – الثعالبي . نفسه. ص460

تعالى:يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىءِ وَلاَ تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ آن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ "[1] حيث يستند إلى قول ابن العربي "

ابن العربي في أحكامه وحرمة النبي ميتا كحرمته حيا، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه فإذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه، ولا يعرض عنه، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به، وقد نبه الله تعالى على دوام الحرمة المذكورة على مرور الأزمنة بقوله: "وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا' وكلام النبي صلى الله عليه وسلم هو من الوحي وله من الحرمة مثل ما للقرآن"[2] و المدونة للإمام مالك والعتيبة لابن القاسم تلميذه مثل في تفسيره لقوله تعالى "فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ "[3].الذي يورد فيه آراء في اختلاف معنى أوسط، "رأي مالك الوسط في القدر أي أن يطعم المسكين بالمدينة مدا بمد النبي صلى الله عليه وسلم وذلك رطل وثلث، وهذا لضيق المعيشة بالمدينة ورأى في غيرها أن يتوسع"[4] فضلا عن اعتماده للأحاديث

[1]- سورة الحجرات الآية 02-

[2]-أبن العربي. أ حكام القرآن. ج تح : علي محمد البجاوي. دار المعرفة. بيروت . ص 17 .

[3]- سورة المائدة الآية 89.

[4]- مالك بن نبي. المدونة. ج 2. دار الفكر.ص 398.

الخاصة بالأحكام مثل كتاب الموطأ" للإمام مالك بن أنس والتمهيد لأبي عمر وبن عبد البر، والإلمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العبد.

فالثعالبي يكثر من اعتماده على المصادر المختلفة جريا على غيره من المفسرين مماّ يخرجه إلى الاستطراد من كثرة الإسهاب. مثل ما جاء في تفسير قوله تعالى:"فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ "[1]. إذ نقل عن ابن عطية تفسيره لمعنى "ما طاب" بما حل، وتضعيفه لما سوى ذلك من الآراء فرد عليه بقوله: وفي تضعيفه نظر فتأمله قال الفخر الرازي: وفي تفسير (ما طاب) بما حل نظر وذلك أن قوله تعالى: "فانكحوا" "أمر إباحة فلو كان المراد بقوله "ما طاب لكم" أي ما حل لكم لتنزلت الآية منزلة ما يقال: أبحنا لكم نكاح من يكون نكاحها مباحا لكم، وذلك يخرج. الآية عن الفائدة ويصيرها مجملة لا محالة، أما إذا جملنا ما طاب على استطابة النفس و.ميل القلب، كانت الآية عامة دخلها التخصيص وقد ثبت في أصول الفقه أنه إذا وقع التعارض بين الإجمال والتخصيص كان رفع الإجمال أولى، لأن العام المخصص حجة في غير محل التخصيص ، والمجمل لا يكون حجة أصلا انتهى وهو حسن"[2].

[1]– النساء الآية 03.

[2] – الثعالبي ج1.م س.ص414

➢ **القراءات في تفسير الثعالبي:**

تعرض الشيخ الثعالبي للقراءات .وأنزل عليها المعاني المختلفة مبديا رأيه من خلال معاني الآيات المتواتر منها والشاذ، ومبينا ما تدل عليه كل قراءة دون إسقاط أو طعن، فمثلا عندما يفسر قوله تعالى:"فَإِنَّهُمْ لاَ يُكْذِبُونَكَ "[1]،

يقرأ عن ابن كثير وأبي عمر وابن عامر وعاصم وحمزة "لا يكذبونك" قرأوها بتشديد الذال وفتح الكاف وقرأها ابن عباس بضم الياء، وقرأها نافع والكسائي بسكون الكاف وتخفيف . الذال وهما صحيحتان، قال الثعالبي "فمعنى لا يكذبونك أي لا يعتقدون كذبك، وإنهم يعلمون صدقك ولكنهم يجحدون عنادا وظلما"[2].

وفي قوله تعالى: "وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَّغُلَّ ،أورد الثعالبي كل من

قراءة ابن كثير وعاصم الذين قرآها بفتح الياء وضم الغين كما قرأها البعض بضم الياء وفتح الغين.

و هو يلتزم بالمتواتر من القراءة مرتكزا على القراء السبع، لكنه لا ينسى في قراءته الشاذ في التدليل والترجيح، مثل تفسيره ل"تكفر"في قوله تعالى"نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مَّدْخَلًا كَرِيماً

"[4]حيث قراها ابن كثير بالنون ورفع الراء وابن عامر بالياء وورفع الراء ونافع

---

[1] – الأنعام الآية 34

[2]–الثعالبي .م س.ص617

[3] – سورة آل عمران الآية 161

[4]– سورة النساء الآية 31

بالنون و الجزم فأما رفع الراء فهو على وجهين أحدهما أن يكون الفعل خبر ابتداء تقديره ونحن نكفر أو والله يكفر و الثاني القطع و الاستئناف و الواو لعطف جملة على جملة و الجزم في الراء أفصح هذه القراءات لأنها تؤذن بدخول التكفير في الجزاء و كونه مشروطا إن وقع الإخفاء وأما رفع الراء فليس فيه هذا المعنى.

و كذا في تفسيره للآية "وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا [1] وكذا الآية " وَالاَرْحَامَۚ إِنَّ أَللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً [2] حيث يذكر قراءة حمزة

و الأرحام بالخفض عطفا على الضمير و قال "وهذه القراءة لا تجوز عند البصريين لأنه لا يجوز عطف الضمير على مضمر مخفوض إلا للضرورة الشعرية وأن الصحيح جواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار كمذهب الكوفيين.

وفي معرض تفسيره للآية " وَمَا خَلَقْتُ أَلْجِنَّ وَالِانسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ".

يقول الثعالبي: "قال ابن عباس وهي: المعنى: وما خلقت الجن والإنس إلا لأ مرهم بعبادتي، وليقروا لي بالعبودية، وقال زيد بن أسلم وسفيان النوري: هذا خاص،والمراد ما خلقت الطائعين من الجن والإنس إلا لعبادتي – ثم يرجح التأويل

[1] – سورة البقرة الآية 148
[2] – سورة النساء الآية 01
[3] – سورة الذاريات الآية 56

الثاني بقوله: ويؤيد هذا التأويل أن ابن عباس روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين إلا ليعبدون"[1].

- **قراءة الثعالبي للنسخ في القرآن:**

يوافق الثعالبي في قراءته لجواز النسخ أهل السنة والجماعة عقلا وشرعا في الأوامر والنواهي، وينكر على اليهود جمعهم بين النسخ و البداء فيفرق بينهما محددا الناسخ والمنسوخ وعلاقتهما، ومبينا الدليل في التفسير للنسخ في القرآن مثل. في. قوله تعالى: "كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ [2] الذي يورد فيه قول بعض العلماء "أن الناسخ لهذه الآية السنة المتواترة وهو قوله صلى الله عليه وسلم عن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث فالآية "وَالاتِي يَاتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ "[4] نسخت بالأذى ثم بآية النور ثم بالرجم . في الثيب مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم "قد جعل الله لهن سبيلا

[1] – الثعالبي. ج 4 م.س.ص 288.
[2] – سورة البقرة الآية 179
[3] – الثعالبي. ج1.نفسه. ص167.
[4] – سورة النساء الآية 15

البكر بالبكر جلد مائة، وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرّجم"[1]

أما النسخ في الأخبار فرأى الثعالبي أنه ليس جائزا، والدليل على ذلك أن الله تعالى أمر محمّد صلى الله عليه وسلّم بالاقتداء بالرّسل والأنبياء السابقين في العقود والإيمـان والتوحيد مع الاختلاف في الشرائع.

واختلف في قولهم أن آية السيف ناسخة لمائة وبضع وعشرين آية، فقد رآه البعض قولا مبالغا فيه، فهي ناسخة لبضع آيات، وأما غيرهن فمن مكارم الأخلاق.

والنسخ عند العلماء لا يكون إلا إذا استحال الجمع، فمثلا يرى الثعالبي أن الآية "وما أنا عليكم بوكيل"[2] منسوخة بآية القتال[3] من سورة التوبة الآية 05، وقوله جل وعلا "ذرهم يأكلوا ويتمتّعوا ويلههم الأمل"[4] منسوخة بآية السيف (الوعيد والتهديد والمهادنة)[5]

ثم إن النسخ عند العلماء إذا لم يسند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم أو صحابته فهو باطل، وهو الأساس الذي بنى عليه الثعالبي رأيه في النسخ.

[1] أخرجه مسلم.
[2] سورة يونس، الآية 108.
[3] الثعالبي، ج2، م، س، ص 263.
[4] سورة الحجر، الآية 03.
[5] الثعالبي، نفسه، ص 396.

➢ **قراءة الثعالبي للمتشابه في القرآن**

يرى ابن خلدون أن المهدي بن تومرت البربري الفقيه صاحب الدعوة الموحدية في المغرب العربي كان من العلماء الذين نقلوا المذهب الأشعري القائم على مسائل الــتأويل، وقربه إلى العامة ليكون أساسا بعد ما كان محصورا في زمرة من العلماء وبعدما ألجم أبو حامد الغزالي العوام عن الخواص في مسائل الــتأويل حيث قال: "وحملهم (أي حمل المهدي بن تومرت أهل المغرب) على القول بالتأويل والأخذ بمذهب الأشعرية في العقائد"[1].

وقد كان نشاط ابن تومرت في المغرب مدعوما بالثعالبة الذين رحبوا به وبمبادئه العقائدية والسياسية في حوالي القرن السابع الذي طبع عليه الجمود الفكري وقل نشاطه الديني، وغلب المذهب الأشعري المتزود من الأشعرية. و الظاهر في قراءة الثعالبي التي أجازت تأويل المتشابه في القرآن مصداقا لقوله تعالى: "هُوَ ٱلذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ "[2].

فالمتشابه من القرآن عكس المحكم يحتوي على نوع من التشابه في المعاني التي تحتاج إلى تأويل وحسن نظر (بين الحلال والحرام) مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: "الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور متشابهات".

[1] – ابن خلدون, العبر م س ص 466

[2] – سورة آل عمران. الآية 07

وهو في قراءة الثعالبي المؤسسة على المذهب السني يؤول حتى لا يفهم منه معنى فاسد بشرط أن يكون من ذوي العلم والمعرفة والمذهب الصائب مثل قراءته لآيات الصفات التي نزه فيها الله تعالى عن التجسيد والتجسيم، وعارض المفوضية فمن خلال الآية القرآنية: "ٱللَّهُ ٱلذِے رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَالْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِے لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۖ يُدَبِّرُ ٱلاَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلاَيَـٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ رَبِّكُمْ "[1] وللآية "هُوَ ٱلذِے خَلَقَ لَكُم مَّا فِے ٱلاَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّيٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍۖ "[2]

يرى أن صفة الاستواء تعني القدرة والسلطان والعلو, لا التمكن والحلول والاستقرار والانتقال، لأن الله تعالى خالق كل شيء، وهذا تأويل نابع من المذهب الأشعري كما قال أبو الحسن الأشعري الذي لا يرى الاستواء نزولا وحركة، بل هو سمو، وكذا صفات العين واليد في قراءته للآيات "وَاصْنَعِ

[1]– سورة الرعد الآية .2

[2] – سور البقرة الآية 28

اِلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَاصْنَعِ اِلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا "[1] ،

و"يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ "[2] التي يرى في تأويلها أن اليد والعين يقصد بهما

الإدراك والرعاية والقدرة والنعمة ، قال: "يد الله فوق أيديهم أي الوفاء والعهد, وقيل بالثواب وقيل يد الله في المنة عليهم فوق أيديهم في الطاعة عند المبايعة, وهذا حسن قريب من الأول"[3]، فالله منزه عن التجسيم والتشبيه والتكييف، والتميز والحلول.

وفي قراءة أخرى يؤول الثعالبي اليد بالقدرة فهي تعني في مواضع النعمة، وفي أخرى القدرة مثل في قوله تعالى: "قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ [4]

التي يعارض فيها قراءة أبي الحسن الأشعري الذي يؤول اليد بالنعمة مستدلا بقوله: "ولو كان الله عز وجل عنى بقوله: "لما خلقت بيدي القدرة لم يكن لآدم عليه السلام على إبليس في ذلك مزية, وبذلك أثبت أبو الحسن الأشعري صفة اليد لله تعالى من غير تجسيم ولا تشبيه, فقال "أتقولون أن لله يدين؟ قيل: نقول ذلك وقد

[1] – سورة هود الآية 37

[2] – سورة الفتح الآية 10

[3] – الثعالبي. ج 4 م س ص 238

[4] – سورة ص الآية 75

دل عليه قوله عز وجل: يد الله فوق أيديهم, وقوله تعالى لما خلقت بيدي "فثبت اليد"[1].

وفي معنى التقوى من خلال الآية القرآنية:"إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ "[2] يورد قول الجماعة وأهل السنة الذي ينص على معنى اتقاء الشرك، فهو أساس التوحيد والصدق في العمل والنية ، وهو مؤهل لأن يكون أول من يتقبل منه الله ويرحمه.

كما أن تمسك الثعالبي بمذهب أهل السنة والجماعة يظهر جليا في رده على الفرق المنحرفة مثل المانوية والحلولية والمعتزلة؛ حيث يورد رأي الجماعة والسنة ليدمغ حجته في إبطال فساد معتقد تلك الفرقة ، فمثلا في تفسير لفظة "الذين كفروا" من قوله تعالى: "ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلذِے خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَالاَرْضَ وَجَعَلَ ال+ظُّلُمَـٰتِ وَالنُّورَ ثُمَّ ٱلذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ

[1]– أبو الحسن الأشعري. الإبانة عن أصول الديانة. السعودية 1400. ص54.

[2]– سورة المائدة الآية 29

يَعْدِلُونَ "[1] يجد أن معنى لفظ "الذين كفروا" عبادة غير الله ، وفيه إشارة إلى عبدة الأوثان من العرب مثل المانوية التي تختص بعبادة النور باعتباره مصدرا للخير، ويرى أن حلول الله في الأماكن مستحيل؛ لأنه تعالى فوق أن يحده زمان ومكان، وهذا رد على فرقة الحلولية الداعية إلى حلول الله" وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ

وقد رد على تفسير المعتزلة لرؤية الله بالأبصار بأن الله "لا تُدْرِكُهُ ٱلأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ "سبحانه و تعالى يراه المؤمنون يوم القيامة" مصداقا لقوله تعالى: "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ "[4].

[1]- سورة الأنعام الأية 01-02

[2]- سورة الأنعام الأية 04

[3]- سورة الأنعام الآية 104

[4]- سورة القيامة الآية 21. 22

دون تمكن وتحيز وتقابل, فالنظر هنا غير محدد بمكان ولا مجسم لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إنكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر" وفيه رد على المعتزلة الذين شددوا على رؤية الله ,فهو يدرك الأبصار ولا تدركه ولا تحيط به ولا تصل إلى أعماقه, ولا تحده بحدود ولا أوصاف فرق بين الرؤية والإدراك فأبو الحسن الأشعري يرد عليهم بقولهم أن الله لم يزل متكلما لقوله "وحقيقة قول هؤلاء أنه لا كلام لله على الحقيقة وأن الله ليس بمتكلم في الحقيقة ولا مكلم"[1].

كما ينقل الثعالبي عن ابن رشد في كتابه "البيان والتحصيل" ليرد على المعتزلة "كلام الله يطلق إطلاقين كما هو الشأن في الإنسان, فالإنسان يسمى متكلما باعتبارين أحدهما الصوت والآخر بكلمات النفس الذي ليس بصوت ولا حرف, وهو المعنى القائم بالنفس الذي يعبر عنه بالألفاظ, فإذا انتقلنا من الإنسان إلى الله رأينا أن كلام الله تعالى ورد بهذين الإطلاقين المعنى النفيس وهو القائم بذاته, وهو الأزلي القديم, الذي يتغير بتغيير العبارات ولا يختلف باختلاف الدلالات وهذا هو الذي نريده إذا وصفنا كلام الله بالقدم وهو الذي يطلق, عليه كلام الله حقيقة, أما القرآن بمعنى المقروء المكتوب فهو بلا شك كما يقول المعتزلة حادث مخلوق فإن كل كلمة تقرأ تنقض بالنطق بما بعدها, فكل كلمة حادثة فكذا المجموع المركب منها, ويطلق على هذا المقروء المكتوب كلام الله مجازا"[2].

[1]– محمد عبد الرحمن بيصار. منهج ابن عطية. رسالة عبد الوهاب الهيئة العامة لشؤون المطابع 1973 ص130

[2] – أحمد أمين. ضحى الإسلام. ج3 مصورة عن لجنة التأليف. ص 41

مما يبين انتهاج الثعالبي لمذهب السنة في تأويله لتكليم موسى "وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً "[1] فهو دون تكييف وتحديد, وذلك يوافق رأي أبي الحسن الأشعري فالله فوق كل الموجودات والمعلومات.

وهو يرى كما يرى الراسخون في العلم" العلم قائم في النفس ويخلق لموسى إدراكا من جهة السمع يتحصل به الكلام, وكما أن الله موجود لا كالموجودات معلوم لا كالمعلومات فكذلك كلامه لا كالكلا، [2]" ويرد الثعالبي على المعتزلة في موضع آخر في صفة علم الله و يبطل تأويل المعتزلة منهم أبو الهذيل العلاف الذي يؤول علم الله وكلامه بذاتهما حيث يقول في تفسير الآية القرآنية "لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً "[3].

فقوله تعالى: "أنزله بعلمه" من أقوى متعلقات أهل السنة في إثبات علم الله عز وجل خلافا للمعتزلة في أنهم يقولوه عالم بلا علم, والمعنى عند أهل السنة أنزله وهو يعلم إنزاله ونزوله"[4].

---

[1]– سورة النساء الآية 163

[2] – الثعالبي م س ص 516

[3]– سورة النساء الآية 165

[4]– الثعالبي,ج1 نفسه ص 516

وأيضا موضوع الهداية والضلال, وهي من الأصول الخمسة للمعتزلة (التوحيد – العدل – المنزلة بين المنزلتين –إنفاذ الوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) فالثعالبي يرد عليهم بالإبطال في رأيهم القاضي بحرية الإنسان في خلق أفعاله من خلال تفسيره لقوله تعالى: "فَمَنْ يُّرِدِ ٱللَّهُ أَنْ يَّهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلِاسْلَٰمِ "[1].

حيث يرى في لفظ "يشرح" نقلا عن أهل السنة أن "ضمير اسم الله عز وجل يعضده اللفظ والمعنى, ولا يحتمل غيره والقول بأنه عائد على المهدي قول يترتب عليه مذهب القدرية (المعتزلة) في خلق الأعمال ويجب أن يعتقد ضعفه والحذر منه"[2].

كما يرد أيضا على فرقة الخوارج والمرجئة ويبطل مذهبهم محتكما في تفسيره للآية "إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُّشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَّشَآءُ ۚ .

فهذا النص في نظر الثعالبي فاصل قاطع للمعتزلة (ويغفر ما دون ذلك). ورد على المرجئة (لمن يشاء) فالله سبحانه وتعالى لا يغفر لكل مؤمن كما في عقيدتهم. وهو بهذا يميل إلى أهل السنة ويقسم الناس إلى أربعة أصناف:

---

[1]– سورة الأنعام الآية 126.

[2] – الثعالبي. ج 1 م س ص 666

[3]– سورة النساء الآية 48

1-كافر مات على كفره فهو مخلد في النار بإجماع

2-مؤمن محسن لم يذنب قط ومات على ذلك فهذا في الجنة محتوم عليه حسب الخبر عن الله تعالى بإجماع.

3-وتائب مات على توبته فهو عند أهل السنة وجمهور فقهاء الأمة لاحق بالمؤمن المحسن إلا أن قانون المتكلمين أنه في المشيئة.

4-ومذنب مات قبل توبته, فهذا هو موضع الخلاف"[1] بين المرجئة والمعتزلة والخوارج

والثعالبي يرد عليهم بأن الآية هي الحاكمة و الفاصل القاطع لمذهب المعتزلة والمرجئة و مذهب أهل السنة هو الصحيح.

وفي تفسيره للآية"أَلَمٓ"[2] اختلف في الحروف التي في أوائل السور على

قولين فقال الشعبي و سفيان الثوري و جماعة من المحدثين هي سر القرآن وهي من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه ولا يجب أن يتكلم فيها و تلتمس الفوائد التي تحتها والمعاني التي تتخرج عليها واختلفوا في ذلك على اثني عشر قولا فقال علي و أبي عباس رضي الله عنهما الحروف المقطعة في القرآن هي اسم الله الأعظم إلا أن لا نعرف تأليفه منها وقال ابن عباس أيضا هي أسماء الله أقسم بها و قال أيضا هي حروف تدل على أن الله أرى فقال قوم هي حساب أي جاد لتدل

[1]- الثعالبي. م س ص 452

[2]- سورة البقرة الآية 01

على صدق ملة محمد صلى الله عليه وسلم كما ورد في حديث حي بن أحطب وهو قول أبي العالية و غيره"[1].

- قراءته للفقه والأصول:

ركز الثعالبي في قراءاته الفقهية عل فقه مالك . و لم ينتهج المنهج الفقهي خشية التطويل فمثلا في تفسيره للآية القرآنية "وَلاَ تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَـٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ " [2]. يذكر أن فرقة قالت: لا تباشروهن معناها لا تجامعوهن والجمهور يرى أنه يقع على الجماع فما دوته مما يتلذذ به من النساء، وفي قوله تعالى:

عاكفون". معناها ملازمون ينقل قول مالك وجماعة معه"لا اعتكاف إلا في مساجد

الجماعات وروي عن مالك أيضا أن ذلك في كل مسجد ويخرج إلى الجمعة كما يخرج إلى ضروري أشغاله، قال ابن العربي في (أحكامه): وحرم الله سبحانه المباشرة في

المسجد، وكذلك تحرم خارج المسجد لأن معنى الآية ولا تباشروهن وأنتم ملتزمون

للاعتكاف في المساجد، معتقدون له .

[1] – الثعالبي م س. ص45'

[2]– سورة البقرة الآية 186

[3]– الثعالبي. نفسه. ص 180.

كما يرى الثعالبي أن العقل " لا يستعمل في عالم الغيب وهو يقول بالقياس والتأويل "وفيه دليل على صحة القياس، لأنه علمهم سبحانه الاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الأخرى"[1]

- قراءة الثعالبي للمواعظ والآداب في القرآن:

يدعونا الثعالبي في قراءاته إلى التأمل في ملكوت الله وتدبر إبداعه العظيم فمثلا في تفسيره لقوله تعالى " تعرفهم بسيماهم " في الآية القرآنية "لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِى ٱلأَرْضِ يَحْسِبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لاَ يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ "[2] ،يذكر " قال الشيخ العارف بالله صاحب الكلم الفارقية والحكم الحقيقية. كل ما دل على معنى فقد أخبر عنه ولو كان صامتا، وأشار إليه ولو كان ساكتا لكن حصول الفهم والمعرفة بحسب اعتبار المعتبر ونظر المتأمل المنذر،انتهى

وفي تفسيره لقوله تعالى وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ

[1]- الثعالبي م س. ص 255.
[2]- سورة البقرة الآية 273
[3]- الثعالبي،نفسه. ص268،267.

غنيا حميدا"[4]، يذكر قول الأستاذ أبو بكر الطرطوشي في سراج الملوك " و لمّا ضرب ابن ملجم عليا رضي الله عنه أدخل منزله فاعترته غشية ، ثم أفاق فدعا أولاده الحسن و الحسين و محمدا فقال: أوصيكم بتقوى الله في الغيب و الشهادة ، و كلمة الحق في الرضا والغضب ، و القصد في الغنى و الفقر ، و العدل على الصديق و العدو ، و العمل في النشاط و الكسل ، و الرضا عن الله في الشدة و الرخاء . يا بني ما شر بعده الجنة بشر ، و لا خير بعده النار بخير ، و كل نعيم دون الجنة حقير، و كل بلاء دون النار عافية ، من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره ، و من رضي بقسم الله لم يحزن على ما فاته ، و من سلّ سيف بغي قتل به ، و من حفر لأخيه بئرا وقع فيها ، و من هتك حجاب أخيه كشف عورات بنيه ، و من نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره ، و من استغنى بعقله زلّ و من تكبر على الناس كلّ، و من أعجب برأيه ضل ، و من جالس العلماء و قر ، و من خالط الأنذال احتقر، و من دخل مداخل السوء أتهم ، و من مزح استخف به ، و من أكثر من شيء عرف به، و من كثر كلامه كثر خطؤه ، و من كثر خطؤه قل حياؤه ، و من قلّ حياؤه قل ورعه،و من قل ورعه مات قلبه ، و من مات قلبه دخل الناس..." [5]

[4] سورة النساء الآية 130

[5] الثعالبي ، ج1 م س ص 501

الفصل الثالث:

قراءة الثعالبي للمدارس الأخرى

➢ **القراءة الصوفية:**

تعد القراءة الصوفية والإشارية من مناهج التفسير التي انطلقت من عقيدة الإسلام لتصبح أحيانا منافية لها في بعض الأفكار التي أثرت سلبا على عملية التفسير.

وكان ابن عربي زعيما للتصوف في تفسيره للقرآن الكريم و من مناضلي إسلامي فكرة وحدة الوجود التي تأثر بها كل صوفي . وتفسيره أغرق في التأويلات الباطنية التي تجر إلى الزيغان عن الإسلام، فقد طال الأمر في التصوف واختلط بأوحال كثيرة ودخلت إليه أفكار وثنية هندوسية أعرض عنها بعض المفسرين الذين جرى في اعتقادهم أن القراءة الصوفية ترجع إلى أعلى درجات القراءات الصحيحة التي تهيل عليها بهالة القدسية المتصلة بالإسلام، وهذا ما سمي بالإشارية فهي إطلالة على الإشارات الغيبية الباطنية الخفية التي لا تخص إلا أرباب هذه القراءة، وكثيرا ما كانت تصل الإشارة بتوغلها في التبطينات إلى تجهيل وتعارض فالتفسير الإشاري لا يكون مقبولا إلا إذا انبنى على شروط وقواعد تخضع لعقيدة الإسلام ولا تخرج عنه إلى التجهيل والتغريض مثلما يوضح ابن قيم "تفسير الناس يدور على ثلاثة أصول، تفسير على اللفظ، فهو الذي ينحو إليه المتأخرون، وتفسير على المعنى وهو الذي يذكره السلف، وتفسير على الإشارة وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم، وهذا لا بأس به بأربعة شروط:

1. ألا يناقض معنى الآية.
2. وأن يكون معنى صحيحا في نفسه.
3. وأن يكون اللفظ إشعارا.

وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم، فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطا حسنا"[1].

والقرآن الكريم كتاب له ظاهر وباطن وباطنه أصل ظاهره مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم "الإسلام علانية والإيمان في القلب".

لذلك فالظاهر لابد له من باطن يتفق معه مثل اتفاق الروح والبدن والإسلام قائم على هذه الثنائية المركبة والمتصلة، يقول ابن تيمية "الظاهر لابد له من باطن يحققه ويصدقه ويوافقه فمن قام بظاهر الدين من غير تصديق بالباطن فهو منافق، ومن ادعى باطنا يخالف ظاهرا، فهو كافر منافق، بل باطن الدين يحقق ظاهره ويصدقه ويوافقه، وظاهره يوافق باطنه ويحققه، فكما أن الإنسان لابد له من روح وبدن، وهما متفقان فلابد لدين الإنسان من ظاهر وباطن يتفقان، فالباطن للباطن من الإنسان والظاهر للظاهر منه"[2].

والظاهر لا يحيا دون باطن كما لا يحيا البدن دون روح "تفسير النص بالظاهر هو بدن العقيدة، بيد أن التفسير الأعمق يحل منه محل الروح، وأين يحيا بدن بلا روح"[3].

وقد كان للصوفيين تأويلات لمعاني القرآن الكريم والسنة النبوية تجاوزتها إلى الباطن أو الإشارات كما يراها البعض.

---

[1]– مناع القطان. م. س. ص348.

[2]–ابن تيمية. التفسير الكبير.تح: وتعليق عبد الرحمن عميرة.ج2 .دار الكتب العلمية .بيروت.ط1. 1988 ص 88.

[3]– جنتس جولد تسهر .مذهب التفسير الإسلامي .تر: د عبد الحليم النجار. دار اقرء. ط5 .1992. ص203.

فمن المفسرين من يرى أنها رموز وليس تفسيرا لم يصح عن الصحابة والتابعين، ومنهم من يراها المقصود من الآيات.

والشريعة إصلاح للباطن والظاهر، عبادة وإحسان ،شريعة وحقيقة على خلاف ما يعتقده المتصوفون من أن الشريعة غير الحقيقة وهو كلام مدخول مضطرب متلاعب، يقول ابن عجيبة في شرح حكم ابن عطاء الله السكندري "الأعمال عند أهل الفن يعني فن التصوف – على ثلاث أقسام: عمل الشريعة، وعمل الطريقة، وعمل الحقيقة – أو نقول:"عمل أهل البداية،وعمل أهل الوسط، وعمل أهل النهاية، فالشريعة أن تعبده والطريقة أن نقصده، والحقيقة أن تشهده، أو نقول: الشريعة صلاح الظواهر والطريقة لإصلاح الضمائر، والحقيقة لإصلاح السرائر...إلخ، وهذا كلام مضطرب مدخول يقوم على التلاعب بالألفاظ والعبث بالمفاهيم"[1].

وإذا اتبعت الصوفية منهجا تشينه الخرافة فلكونها اعتمدت على خطرات القلوب بعيدا عن الضوابط الشرعية واللغوية. وانتهت إلى صورة من الإرجاء والجبرية أدت إلى الانسحاب من المعركة الاجتماعية (وممارسة نوع من الانتحار الروحي). ولو أنها حافظت على ما يزينها من الجانب الخلقي وأدب النفس والتعلق بجلالة الله الذي يرقى بالتصوف و يذكي عطاءه و يزيح عنه ستار الرهبة المسيحية .

[1]–محمد الغزالي. ركائز الإيمان بين العقل والقلب. دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع.ط1 1985ص 26.

كما لا يمكن أن يعدّ التصوف المؤدي إلى دروشة وشعوذة مقياسا للإصلاح، لأن الإصلاح "يهدف إلى توفير الدافع الداخلي لدى جماهير الشعب، تلك الجماهير المتعطشة إلى (انتفاضة القلب) كما تنتصر على ما أصابها من خمود"[1].

بينما يهدف التصوف اللاإصلاحي إلى الخلاص من الخطايا لقول الكلاباذي" التصوف تعرف وليس أخذا ولا ردا ولا جدلا ويقول سرى السقطي" التصوف أن لا يملكك شيئا، ولا يملك شيء"كما يرى أبو بكر الشيلي أن التصوف "ضبط حواسك ومراعاة أنفاسك، والجلوس مع الله بلا هم"[2].

إذن التصوف هو علم ومعرفة وعمل وعبادة .وكل علم يعرف به الإنسان ربه هو من سبيل التصوف، والتصوف يوصل إلى المعرفة الكبرى والحقيقة الأولى (وجود الله ووحدانيته) وما الاختلاف إلا في طريقة الوصول إلى هذه الدرجة من المعرفة التي شقت الصوفيين إلى فرق تختلف في وحدة الوجود بين التأكيد والنفي.

وكان الغزالي من المتصوفين الذين ذاع صيتهم ووصلت آراؤهم الآفاق كما وصلت إلى الثعالبي الذي يرى التصوف علما لا يقبله إلا القلب السليم المجاهد الطاهر من الأدران والخبائث :"إن الفطرة الإنسانية السليمة الصافية هي ينبوع المعارف وإن الذي يمنع النفس من الاعتلاء إنما هي حجب المادة وظلمات الشهوة، وإن الغاية من العلوم هي بلوغ هذه النفس كمالها وكمال النفس مركز الدائرة التي يمثلها التصوف"[3].

---

[1]– مالك بن نبي. وجهة العالم الإسلامي.دار الفكر السورية تر: عبد الصبور شاهين . ط1. 1959.ص 54.

[2] –جلال الدين الرومي. بين الصوفية وعلم الكلام. الدار المصرية اللبنانية. ط1 .1987 .ص 21.

[3] –نفسه .ص 47.

➢ **قراءة الثعالبي للتفسير الإشاري:**

لقد بنى الثعالبي تصوفه وتفسيره الإشاري في معظم مؤلفاته الصوفية على أسس وشروط يجب أن تتوفر في الصوفي حتى يكون تفسيره صحيحا و منزها عن الباطنيات الحلولية التجسدية التي لا تمت بصلة إلى القرآن من بين هذه الشروط:

1- ألا يكون التفسير منافيا لظواهر النظم القرآني

2- أن يندرج تحت أصل شرعي يؤيده.

3- ألا يكون له معارض شرعي أو عقلي.

4- ألا يدعي أنه المراد وحده دون الظاهر"[1].

وقد اتبع في صوفيته طريقة القشيري والغزالي في الإحياء واستند في تعليقاته على العز بن عبد السلام وأبي الوليد الباجي في سنن الصالحين، وابن عطاء الله السكندري في التنوير وأبي القاسم عبد الرحمن بن يوسف اللجائي وأبي مدين البجائي التلمساني وأبي الحسن الشاذلي . مبتعدا كما ذكرنا عن مبدأ الحلول ووحدة الوجود الذي نادت له بعض المذاهب الدخيلة .

فقراءة الثعالبي الصوفية تقدس الله وتنزهه عن أن يحتله مكان وزمان ، مفندة ما ذهبت إليه كل من العقائد المانوية التي ترى الخير في النور والشر في الظلام .إذ صوفية الثعالبي قائمة على العلم بالكتاب والسنة.

[1] – محمد حسين علي الصغير. المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.ط1. 1983. ص 107.

هذا. ولم يتعمق الثعالبي في التفسير الإشاري الذي جاء مستخلصا لإشارات خفية من الآيات ومتمسكا بأصول الإسلام ومعارضا للإشارية التي تغرق في الإشارة الخارجة عن معنى الآية، مثلما جاء في تفسيره للآية:"إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا "[1].

حيث يرى أن المقصود بقول ثقيل العمل بالقرآن والعلم به، وفي تفسيره للآية:"يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ "[2] يقول "إنّ الحكمة هي الفهم في القرآن، ويضيف مثل الذين يقرؤون القرآن، ولا يفهمون معانيه كمثل قوم جاءهم خطاب، بليل من ملكهم، وليس لهم مصباح فتملكهم الخوف، والذي حمل التفسير، هو حامل المصباح إليهم"[3].

ويبيح الثعالبي استعمال الرأي الخاص في الآيات غير المغيبات غير سالك مسلك المعتزلة في استعمال العقل في التأويل مثل طريقة تفسير الكشاف للزمخشري :"وحذر الشيخ ابن حمزة من النظر في تفسير الزمخشري وفيه عمم جواز مطالعته لوجود الشبهة، و به أقول، ولقد أدركت جماعة من مشائخي

[1]–سورة المزمل الآية 5.

[2]– سورة البقرة الآية 268.

[3]– الثعالبي ج1. م.س. ،ص11.

الورعين الخائفين يعيبون النظر في تفسير الزمخشري ومن خاف على نفسه احتاط لها"[1].

وبالرغم من نقص الإبداع في صوفية الثعالبي إلا أنه لم يخرج عن الطريق السوي و المعتقد السليم .فهو يجد في الرؤيا مثلا نوعا من الكرامات التي تخص الأولياء على غرار الغزالي الذي يجدها مصدرا رئيسا في تفسيره الصوفي فضلا عن اهتمامه بعلم الكلام الذي يعرفه ب"هو العلم بأحكام الألوهية وإرسال الرسل وصدقهم في جميع أخبارهم، وما يتوقف عليه شيء من ذلك خالصا له بقوة هي مظنة لرد الشبهات، وحل المشكلات" وجلى الشكوك "ثم يقول" هو ماهية الممكنات من حيث دلالتها على وجوه وجودها"[2].

وقد صبغ الثعالبي إشاريته بالسنية فكان سنيا في قراءته مراعيا في ذلك أحكام الشريعة والصوفية. كما كان ناكرا للباطنية مبطلا لآرائها، مثلما يظهر في تفسيره للآية" وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَآ إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَّرَقَةٍ اِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِىظُلُمَٰتِ ٱلاَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ اِلاَّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ "[3]؛ حيث يبطل قراءة جعفر بن محمد للورقة والحبة من خلال ما روي عنه ،ويرجعها إلى طريقة الرموز التي لا تصح عن جعفر بن محمد ولا ينبغي أن يلتفت إليه، تلك القراءة

[1]– . الثعالبي. م.س. ص 177.

[2] عبد الرزاق قسوم . م. س. ص42

[3]– سورة الأنعام الآية .60.

التي"ترى الورقة السقط من أولاد بني آدم، والجنة الذين ليس بسقط والرطب يراد به الميت"[1].

ويبطل الثعالبي قراءة الإشاريين على أساس توغلها في الباطنية ، وإغراقها فيها إلى درجة استنادها إلى آثار ضعيفة وأحاديث واهية مثلما فعل الفخر الرازي وهو يقرأ في تفسيره للآية "ٱلسَّـٰٓئِحُونَ"[2] ؛حيث يستند إلى حديث أشد في الضعف ويرى أن"الإنسان إذا امتنع عن الأكل والشرب والوقاع وسد على نفسه باب الشهوات انفتحت له أبواب الحكمة، وتجلت له أنوار علم الجلال "وقد أتبع هذا التفسير بسند حديث شريف "من أخلص لله أربعين ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه".

وأهمّ ما كان يميز صوفية الثعالبي نقله لكرامات الأولياء، فضلا عن كرامات خاصة بنفسه ، فما نقله عن الأولياء ما جاء في تفسيره لقوله تعالى:أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِداً وَقَآئِماً يَحْذَرُ ٱلآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ"[3]؛ حيث يذكر سبب نزولها وفضل قيام الليل بإيجاز ،ثم يسهب في ذكر رؤى وأحلام في منازل العارفين والصديقين بعد موتهم، فيقول: وكان شعبة بن الحجاج ومسعر بن كدام رجلين فاضلين، وكانا من ثقات المحدثين وعظامهم،

[1]–الثعالبي م .س ص629.

[2] – سورة التوبة .الآية 113.

[3]– سورة الزمر الآية 10.

وكان شعبة أكبر،فماتا، قال أبو أحمد اليزيدي فرأيتهما في النوم وكنت إلى شعبة أميل مني إلى مسعر فقلت :يا أبا بسطام ما فعل الله بك؟ فقال: وفقك الله يا بني أحفظ ما أقول:

حباني إلهي في الجنان بقبة لها ألف باب من لجين وجوهرا

وقال لي الجبار يا شعبة الذي تبحر في جمع العلوم وأكثرا

تمتع بقربي إنني عندك ذو رضى وعن عبدي القوام في الليل مسعرا

كفى مسعرا عزا بأن سيزورني وأكشف عن وجهي ويدنو لينظرا

وهذا فعالي بالذين تنسكوا ولم يألفوا في سالف الدهر منكرا"[1]

أما ما نقله عن نفسه فمن خلال تفسيره للآية،" لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ "[2] ينقل "كنت في وقت أنظر في السيرة النبوية لابن هشام في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم – وهي أول خطبة خطبها في المدينة فإذا هاتف يقول "لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب" وقد كان حصل في القلب عبرة في أمره صلى الله عليه وسلم"[3].

[1]–عبد الرحمن الثعالبي. العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة،ج1.المطبعة الحميدية. مصر 1907.ص116

[2] – سورة يوسف .الآية 111.

[3]– الثعالبي. ج2.م.س. ص355

والثعالبي يقيس هذا التفسير بقوله تعالى:" وَمَاتَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيه "[1] ، ويستند في مفهوم الولي إلى قوله تعالى:" أَلآَ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ "[2].

ومنه يرى الثعالبي التفكر في ملكوت الله أعلى مراتب الصوفية، وأسمى المثاليات، ذلك أن الصوفية هي التمعن والتفكر، وتلك قوة الإيمان وأقصى درجات الخوف من الله ؛لأن التفكر هو أساس المعرفة، وبالمعرفة نستطيع أن نصل إلى الله ونحبه، ولأن الفكرة كما يقول ابن عطاء الله "سير القلب في ميادين الاعتبار والفكرة سراج القلب إذا ذهبت فلا فائدة له قال بعض المحققين. وذلك أن الإنسان إذا تفكر علم و إذا علم عمل"[3].

والتفكر هو أيضا ثمرة الوصول إلى معرفة الله، قال الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله "التفكر نعت كل طالب وثمرة الوصول بشرط العلم، ثم فكر الزاهدين في فناء الدنيا، وقلة وفائها لطلابها، فيزدادون بالفكر زهدا، وفكر

[1]– سورة يونس الآية 61.

[2]– سورة يونس الآية 62

[3]– رمضان يخلف .عبد الرحمن الثعالبي و منهجه في التفسير. إشراف د مساعد مسلم أل جعفر .جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة .السنة الجامعية 1991–1992.ص98.

العابدين في الآلاء والنعماء فيزدادون محبة للحق سبحانه"[1] كما قال الغزالي الذي يرى التفكر في ملكوت الله نهاية ثمرة الدين في الدنيا لأنه "تحصيل معرفة الله، وتحصيل الأنس بذكر الله تعالى، والأنس يحصل بدوام الذكر والمعرفة تحصل بدوام الفكر"[2].

أما الكرامة عند الثعالبي فهي خاصة بالولي استنادا إلى قوله تعالى:"أولياء الله"[3] ، الّذين آمنوا به ووالوه بالطاعة والعبادة، ومنه الكرامة = الإيمان + الطاعة + العبادة، واستنادا إلى الحديث الشريف عن الدار قطني: خيار عباد الله الذين إذا رؤوا ذكر الله، وشر عباد الله المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة والبالغون للبراء العيب"[4]، و هو ينقل في أكثر من موضع عن الصوفيين بالخضر عليه السلام، فالصوفيون سر العجائب يروم كل ابن أدم النول من كراماتهم وقدسيتهم "فأولياء الله يكاشفون بالعجائب فلا يحرم الإنسان التصديق بها جعلنا الله من زمرة أوليائه"[5].

هذا، ومن القراءات التي يختلف بها عن المذاهب الأخرى (الدهرية المجسمية، المعطلة،القدرية...) بين نفي الصفات (المعتزلة)، وموجود الدهر (الدهرية)، وتجسيم الله (المجسمية) ونفي المعاني (المعطلة) قراءته للفظ الجلالة حيث يرى بأنه "اسم جامع لمعاني الذات والصفات، والأفعال، وإن شئت قلت هو

[1] – القشيري .الرسالة القشيرية .في علم التصوف دار الكتاب العربي .بيروت.ص40

[2] –أبو حامد الغزالي. إحاء علوم الدين. ج4. عالم الكتب .ص 363.

[3]– سورة يونس الآية62.

[4]– الثعالبي. م س .ص 344

[5]– رمضان يخلف .م س.ص96.

اسم لموجود واجب الوجود، موصوف بالصفات، منزه عن الآفات لا شريك له في المخلوقات"[1].

وبهذا يحفظ الثعالبي في قراءته كتاب الله وسنته، فضلا عن أنه ينقل عن بعض المتصوفة مثل قراءته للرؤية؛ حيث يستدل بحديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وهو قوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه فيه، وكانوا جلوسا تحت ضوء القمر: إنكم سترون ربكم عيانا، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، مفندا المعتزلة التي تقول باستحالة رؤية الله استنادا إلى قوله تعالى:"تُدْرِكُهُ ٱلاَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلاَبْصَـٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ "[2]؛ حيث يقرأ الآية بأن الله يدرك الأبصار وهي مخصوصة في الدنيا، وأهل السنة أجمعوا على أن الله يرى يوم القيامة، يراه المؤمنون والوجه أن يبين جواز ذلك عقلا ثم يستند إلى ورود السمع بوقوع ذلك الجائز واختصار تبيين ذلك أن يعتبر بعلمنا بالله عز وجل فمن حيث جاز أن نعلمه، لا في مكان ولا متحيزا، ولا مقابلا، ولم يتعلق علمنا بأكثر من الوجود، جاز أن نراه غير مقابل ولا مكيف ولا محدد"[3].

والثعالبي في قراءته لمبدأ الحرية يبدو سنيا أشعريا على هدي الكتاب والسنة متبعا الغزالي وابن رشد (الجد) والبرزلي والجويني، ومعتمدا على المنطق في كلامياته مثل تعريفه لمصطلح المنهج العقلي، والوجوب والاستحالة ،والأعم والأخص "حقيقة الحكم العقلي هو إثبات أمر أو نفيه من غير وقف على تكرر،

[1] – عبد الرزاق قسوم. م. س. ص 42.

[2] – سورة الأنعام . الآية 104

[3]–عبد الرزاق قسوم. نفسه. ص44.

ولا وضع واضح، فحقيقة العقلي بعض علم ضروري، امتنع منه خلق الموصوف بالعقل، لا يشاركه فيه من ليس بعاقل والانحصار أخص والانقسام أعم، وحقيقة الأخص هو الذي لا يوجد بدون الأعم، وحقيقة الأعم هو الذي يوجد مع الأخص وبدونه، وحقيقة الوجوب هو الثابت الذي لا يقبل الثبوت"[1].

وفي رأيه لحقيقة الكل يجد أنه "الحكم على المجموع من حيث هو مجموع فإذا قامت به طائفة سقط على الباقي كقوله:"كل (بني تميم يحملون الصخرة) بين الكل والكلي، فعرف الكلي بأنه هو الحكم على كل فرد من أفراد الماهية، حتى لا يبقى فرد، كقولك: كل بني تميم يأكل الرغيف، أي كل واحد منهم يكفيه رغيف وحقيقة الكلية: هي الحاكمة بالتعميم في الإيجاب والسلب"[2]. .

كما يرى الثعالبي الملائكة أجساما لطيفة قادرة على التشكل بصور مختلفة من خلال تفسيره للآية"وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ."[3] واستنادا إلى الحديث الشريف "خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم" .

والثعالبي وهو يفاضل بين الملائكة والأنبياء يرى بأن الملائكة لهم الأفضلية على الأنبياء على غرار رأي المعتزلة، لكنه يفضل الملائكة أحيانا وأحيانا أخرى

[1]–عبد الرحمن الثعالبي ، حقائق في التصوف، دار الكتب الوطنية، تونس ص08.

[2] –الثعالبي . م س ص 47

[3] – سورة الحجر الآية 28

يخرجهم عن الكثير المفضول مثل تفسيره لقوله تعالى" وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ . مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا "[1]؛ حيث يجد أن المفضول يقصد به الحيوان والجن، والمفضل في الآية هو الإنسان أو قد تساويه وهو من جهة يخالف قول المعتزلة مما يدل على تردده في ترجيح أي قول فالثعالبي يرى أنه من الواجب أن نؤمن بالملائكة والنبيين، ولا نفضل طرفا على الآخر مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن الله فرض فرائض فلا تضيعوه, وحد حدودا فلا تعتدوها, وحرم أشياء فلا تنتهكوها, وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها. و هو بسبب وجاهته لم يقطع في هذه المسألة ولم يرجح رأيا على آخر على غرار رأي أبي حنيفة رحمه الله وابن أبي العز الدمشقي.

ومنه، فمفاهيم الثعالبي الإشارية تعكس معالم أهل الإشارة وكذا أخلاقهم وصلاحهم ومفاهيم الإشاريين، وهي أحيانا من الرؤى والأحلام استنادا إلى تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم للآيات من خلال رؤاه، و ما لم يكن معارضا لنص القرآن مثل تفسيره للآية"وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ "[2] التي يورد فيها " قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال: يا

[1]– سورة الإسراء الآية 70

[2]– سورة المدثر الآية 04

علي طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله في كل نفس فقلت: وما ثيابي يا رسول الله, فقال: إن الله كساك حلة المعرفة ثم حلة المحبة ثم حلة التوحيد ثم حلة الإيمان ثم حلة الإسلام فمن عرف الله صغر لديه كل شيء ومن أحب الله هان عليه كل شيء ومن عبد الله لم يشرك به شيئا ومن آمن بالله أمن من كل شيء ومن أسلم لله قل ما يعصيه، وإن عصاه اعتذر إليه, وإذا اعتذر إليه قبل عذره ،قال ففهمت حينئذ معنى قوله تعالى: "وثيابك فطهر"[1]، و تفسيره للتوكل من خلال الآية: "وَقَالَ مُوسىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ "[2] الذي يرى فيه تفاوت الناس على قدر إيمانهم وثقتهم في الله ،أو كما يرى المحاسبي عندما سأل عن السبيل إلى التوكل إن الذي فصلت به الخاصة على العامة هو دوام سكون القلب عن الاضطراب والهدوء عن الحركة, فعندها يا فتى استراحوا من عذاب الحرص, وفكوا من أسر الطمع واعتقوا من عبودية الدنيا وأبنائها "[3].

وقد نقل الثعالبي إشارات في تفسير بعض الآيات عن الفخر الرازي والثوري حيث يرى مثلا كلمة السائحين في قوله تعالى: "ٱلسَّٰٓئِحُونَ "[4] "أن الإنسان لا تنفتح له أبواب الحكم وتشرق له أنوار الجلال إلا إذا أغلق على نفسه باب الشهوات.

---

[1] – الثعالبي, ج 4 م س , ص 506

[2] – سورة يونس. الآية 84 .

[3] – الثعالبي, ج 2. نفسه+. ص 253

[4] – سورة التوبة الآية 113.

والإنسان لا يصير سائحا في عالم الجلال وعظمة الله إلا إذا أخلص لله أربعين صباحا كما جاء في معنى الحديث، بالرغم من سنده الضعيف.

ومنه فحقائق الثعالبي في التصوف عبر هذه المصطلحات وغيرها ،ومعالجته للقضايا الكلامية تنم عن اطلاع واسع بالمعرفة والفلسفة، والمنهج الصوفي هو أبرز القراءات التي امتاز بها الثعالبي، وصبغت شخصيته ، فهو المفسر المتصوف استقى تصوفه من عدة مصادر بناءا على كتاب الله والسنة أهم مصدرين، وانتقالا إلى عدة مؤلفات للمحاسبي والقرطبي وعبد الحق الاشبيلي وأبي قسوم وابن تيمية التي تأثر بشخصياتها، فالغزالي كان بمثابة المدينة الأم التي اغترف منها الثعالبي أفكاره ومواقفه وأسلوبه، نظرا للتشابه الحاصل بينهما في الطريقة و النزعة وضرورة العصر(الحالة الاجتماعية المزرية) ليصل هذا التشابه والتأثر إلى عنونة الكتب حيث نقل الثعالبي بعض العناوين جريا على الغزالي مثل: العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة, و" رياض الصالحين" و"التقاط الدر" وحقائق التصوف، فهو طبق الأصل من كتاب "إحياء علوم الدين" وأيضا "الجواهر الحسان" مأخوذ من "جوهر القرآن" للغزالي.

لذلك نجد الثعالبي ينهج في قراءته لهذه النماذج منهج الحقيقة (الصوفية) ؛لأنها أخص وأهم المشكلات التي وقف عندها المتصوفة (الحقيقة والشريعة) ليحققوا هالتهم النورانية.

وإن تعددت قراءات الثعالبي الصوفية فلهدف واحد هو اتباع الكتاب والسنة على نهج متصوفين مشهورين بعدة طرق منها التوبة، الورع، الزهد، التوكل (الأخلاق الاجتماعية) التي يتعلق قسمها بالقلوب (الإيمان) ،والآخر بالقول (الخوف، الشكر، الصبر، الرجاء والأخلاق النفسية) يحرص من خلالها على

سلامة قراءته الصوفية، وتأسيس إشارتيه على شروط صحية بعدم منافاتها لظاهر القرآن بالشاهد الشرعي، وابتعادها عن وجه المعارضة من الشرع أو العقل.

وبهذا يقف الثعالبي موقف وسط معتدل بين التعصب والانحراف بعيد عن فهم الشيعية الإمامية ومبالغة المعتزلة وانحراف الإشارة ،والمبالغة في التفسير العلمي وغرابة المذاهب الفكرية الجاهلية ،وتحلل الحياة الجاهلية الكافرة المتأثرة بالدعايات العقائدية والمذهبية التي لا أساس لها من الصحة (الباطلة) ؛فهو ينأى عن التفاسير المعاصرة مثل الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن لأبي زيد الدستوري.

- القرآن محاولة لفهم عصري لمصطفى محمود
- مفهوم النص لنصر حامد أبو زيد
- الكتاب والقرآن ل د. محمد شحرور

➢ **التفسير بالرأي :**

إن التأويل هو آلية من آليات القراءة لإنتاج المعرفة باعتبار أن النص يقوم في دائرة اللغة بما تحمله من قيم ،فهو "مسكوت بنظامها وقوانينها وعلاقتها التي تحيل إلى قيم حضارية وثقافية واجتماعية هذه القيم" تضع القراءة أمام قدر من السياقات والأنساق فالقراءة تهدف إلى إعادة النظر في موروث الماضي وتنشيط البؤر الدلالية الكامنة فيه"[1].

والتأويل في النص القرآني مرتبط بقراءة موضوعية للإسلام، وبلورة وتأسيس معرفة عقلية القرآني المقدس كما يرى نصر حامد أبو زيد الذي يقرأ النص القرآني مباشرة يطرح معضلة النص المعضلة ،فلا يعني التأويل في النص القرآني ممارسة المتلقي حريته وإجبار اللغة على اتخاذ الصورة والتشكيل المفتوح من قبله "فالقرآن والحضارة بادية بشكل صارم عبر تلازمهما, والفكرة الإسلامية هي التي طوعت الطاقة الحيوية للمجتمع الجاهلي لضرورات مجتمع متحضر"[2].

ومن ثم يجب أن يلتزم المفسر بضوابط وشروط تنأى بتفسيره بالرأي عن السوء والانحراف منها:

1- الالتزام بفهم القرآن من خلال معهود العرب في الخطاب.

2- استصحاب الصحيح من المأثور ليكون وسيلة معينة على الفهم وضابط من خطرات القلوب ومجازفات الهوى.

---

[1]- عامر السعد التلقي والسياقات الثقافية العراق قطر. ص 14

[2]- محمد الغزالي. الجانب العاطفي من الإسلام. دار الكتب الحديثة توفيق العفيفي .مطبعة السعادة .ط1. 1961 ص52

3- التعرف على أسباب النزول لتكون وسائل الإيضاح معينة لتعدد الرؤية وتنزيل النص على الواقع المعاش.

4- عدم الخروج بالتفكير على قواعد المنطق والعقل السليم، أو ما تقتضيه الفطر الصحيحة ودلالة الألفاظ والصيغ.

5- عدم الخروج بالتفكير أو بالرأي عن المقاصد العامة التي حددت في القرآن على أنها مسلمات.

6- الاستفادة من الكسب العلمي والحقائق المعرفية في ميادين الحياة الاجتماعية وغيرها"[1].

وإذا كان القرآن الكريم حمال أوجه كما قال علي بن أبي طالب لابن عباس عندما قام وجادل الخوارج "لا تحاجهم بالقرآن, فإن القرآن حمال أوجه" فإنّ التفسير بالرأي يجب أن يجعل من القرآن شهودا حضاريا يحمل آفاقا كما يجب "أن ينظر إليه كلا على أنه دعامة أمة هو عقلها المفكر، هو ضميرها الصاحي، هو علمها المرفوع، أما أن يترك القرآن لأمور أخرى فلا يجوز"[2].

ولابد لهذا للتفسير حتى يكون اجتهادا صحيحا أن يستند على النصوص الإسلامية ،ولا يغرق ويتصارع في الرأي"الاجتهاد الصحيح لا يضع أمام عينيه رأيا أو نظاما، ثم يلوي رقاب النصوص الإسلامية حتى يسوقها إليه ولكنه يستوحي النصوص الإسلامية حكمها في هذه الآراء والنظم"[3].

لأن سوء التأويل قد يكون سببه سوء فهم في الفكر ،وعجلة تتطاول على النص، وتؤدي إلى مزالق الضعف والقصور في التكوين العلمي "هذه النظرة

[1] - محمد الغزالي م.س ص 223

[2] -.نفسه .ص197 .

[3] -محمد الغزالي. معركة المصحف في العالم الإسلامي. مكتبة رحاب. 1963. ص 119

للقرآن خاطئة من غير شك لأنها تحمل أصحابها والمغرمين بها على تأويل القرآن تأويل متكلفا يتنافى مع الإعجاز، ولا يسيغه الذوق السليم، وهي خاطئة لأنها تعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الأخير... وحسنا أن القرآن لم يصادم الفطرة، ولم يصادم ولا يصادم حقيقة من حقائق العلوم تطمئن إليها العقول"[1].

ناهيك عن أخطاء تتعلق بالمنهج أو الهدف أوالفرعيات، سواء كانت من أصحاب الفرق من أهل القبلة أو من غير المسلمين أو من مفسري أهل السنة والجماعة.

من هذه الأخطاء : – التعامل مع القرآن وقراءته انطلاقا من مرجعية فكرية غاية في تبرير بطلان أفكارهم، ومحاولة موافقة القرآن لها مثل المعتزلة التي أخطأت في الدال والمدلول.

– الخطأ في فهم معاني الآيات وإتباع مناهج غير سليمة ،وقراءات تحتاج إلى أسس صحيحة.

– الخطأ في تخريج الأحاديث والاستناد إلى الأحاديث الضعيفة والموضوعة واعتماد الإسرائليات غير الواردة التي لم يثبت صحتها، وإهمال القراءات العشر والاستناد إلى أقوال الصحابة دون التأكد من صحتها.

هذه الأخطاء التي وضعت تفسير القرآن على محك المعارك الفكرية والمناقشات العقيمة الفرقية، والاحتمالات الكثيرة، وإعراب الآيات، و الانحراف الذي ظهر على عدة أشكال منها :

[1] – القرضاوي. م.س. ص 350

– الخطأ في الاستدلال بالقرآن ويكون فيه معنى اللفظ الظاهري صائبا وحقيقيا ولكن اللفظ القرآني لا يدل عليه.

– خطأ يسلب فيه المفسر معنى اللفظ القرآني الصحيح والظاهري وينفيه، ويحمله على معناه غير الصحيح.

– يكون المعنى الذي ينفيه المفسر أو يثبته خطأ في نفسه ،ولا يدل عليه القرآن والمفسر لا ينفي المعنى الحقيقي للقرآن الذي يدل عليه ظاهر اللفظ.

كما كانت صادرة من أصحاب الفرق الباطلة مثل الاسماعيلية الباطنية، المعتزلة التي أسست تفسيرها على ملحق فكري سابق سيما ما يتعلق بالأحاديث وأقوال الصحابة والتابعين الذين تحايلوا في فهم معناها الصحيح على أساس العقل حيث قال فيهم الإمام عبد الله بن قتيبة: "وفسر المعتزلة القرآن بأعصب تفسير، يريدون أن يردوه إلى مذهبهم, ويحملوا التأويل على نحلهم"[1].فضلا عن فرق الشيعة والخوارج والمعتزلة.

وقد كانت فرقة المتصوفة من الفرق التي أخطأت في تفسير القرآن، وبنت تفسيرها على الإشارة والتأويل الباطني، يقول الدكتور الذهبي "وجد من المتصوفة من بنى تصوفه على مباحث نظرية وتعاليم فلسفية فكان من البديهي أن ينظر هؤلاء المتصوفة إلى القرآن نظرة تتمشى مع نظرياتهم, وتتفق مع تعاليمهم"[2].

وعليه. نكاد لا نجد أثر الاجتهاد والرأي في تفسير الثعالبي ؛لأن التفسير بالرأي في نظره هو مطبة نحو الخطأ و الزلل ،والنزر القليل من الاجتهاد نقله

1–محمد بن لطفي الصباغ .م. س. ص 504

[2] – نفسه ص513

عن مفسرين سبقوه أمثال الفخر والرازي وأبي حيان وابن العربي مما لا ينافي القرآن والسنة.

ويرى الثعالبي أن عقل الإنسان قاصر عن تحصيل المعرفة الدينية ،وما قيام الحجة على الخلق إلا بالأنبياء والرسل والكتب السماوية ،والعقل هو هبة من الله وشرط في التكليف، وهو وسيلة للتمييز بين الخطأ والصواب ،ولا يكون صائبا إلا إذا تأسس على توجيه وتنبيه وتقويم. ومعنى ذلك في نظر الثعالبي "أن الشرع هو الذي يوجب ويكلف وليس العقل"[1].

فالعقل عند الثعالبي يحتل المرتبة الثانية بعد الشرع على خلاف المعتزلة التي تؤمن بقداسة العقل الذي يأخذ عندهم مسارا وجوديا هو أصل علمهم والأصول الكلية الأولية ، وهو أيضا من مصادر تفسير الثعالبي يحتاج إلى تنبيه الشرع وإرشاده إلى الأدلة ؛ لأن اعتماد العقل وحده في التفسير يؤدي إلى الخلاف والتنازع والضلال، فالدليل النقلي هو أثبت وأقوى في الحجة والبيان ،ولا ضرر في الاجتهاد وتوظيف العقل إن تطلب ذلك استنباط الحكم والأبعاد و(الدلالات) . يقول الغزالي في هذا الصدد "كيف يلزم الكفر بالتأويل وما من فريق من أهل الإسلام إلا وهو مضطر إليه، الحنبلي مضطر إليه وقائل به، فقد سمعت الثقاة من أئمة الحنابلة ببغداد. يقولون إنّ أحمد بن حنبل –رحمه الله– صرح بتأويل ثلاثة أحاديث والأشعري والمعتزلي لزيادة بحثهما تجاوزوا إلى تأويل ظواهرها كثيرة، والمعتزلة أشد توغلا في التأويلات، وهم مع هذا، أعني الأشعرية يضطرون إلى تأويل أمور كما ورد في وزر الأعمال فليس الموزون العمل به محل نقاش يدل بالاصطلاح على العمل والمعتزلي تأول نفس الميزان، وجعله كتابة عن سبب به

[1]– الثعالبي .ج 1. م. س. ص 64

ينكشف لكل واحد مقدار عمله، وهو أبعد عن التعسف في التأويل بوزن الصحائف"[1].

وقد أيد الثعالبي موقفه من التفسير بالرأي بحديث عائشة رضي الله عنها" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفسر من كتاب الله الآيات بعدد علمه إياه جبريل عليه السلام. وهو يستعين بأقوال السلف والخلف في تحقيره أمر الأصنام ونفي صفات الكمال عنها ، فيرجح مرة قول هذا و مرة قول ذلك، وأحيانا يذكر رأي السلف مع رأي الخلق في المسألة الواحدة دون أن يرجح بينهما لاعتقاده عدم وجود خلاف في حقيقة الأمر مستخدما طريقة تحرير محل النزاع بعد بيان محل الاتفاق في المسألة، ليصل بعدها إلى موقفه منها ، فمثلا في تفسيره للفظة (يمين) الواردة في قوله صلى الله عليه وسلم "المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمان" يذكر محل الاتفاق في المسألة ويقول "أثبت أهل السنة كل ما جاء من هذا وآمنوا به" ، ثم ينتقل إلى تحرير محل الخلاف فيقول ثم منهم من توقف عن تأويله وسلم على ذلك إلى الله سبحانه وتعالى مع اعتقاد التنزيه" وهو بهذا يشير إلى مذهب السلف ثم يقول: ومنهم طائفة تعرضت للتأويل على مقتضى اللغة التي بها خوطبوا من جهة الشرع" ،وهو بهذا يشير إلى مذهب الخلف، ثم يبين موقفه وهو تبرير رأي كل منهما محاولا الجمع بين المذهبين؛ لأنه يرى بأن الخلاف في حقيقته إنما هو خلاف لفظي ليس إلا بمعنى أن السلف سكتوا عن الكلام في الصفات، وفوضوا معانيها إلى الله تعالى ، وأما الخلف فقد اضطروا إلى تأويلها بما يتفق والمعاني اللغوية التي تناسبها دفعا لوهم التشبيه"[2].

---

[1] –د.مختار لزعر .التصور اللغوي في الفكر الاعتزالي مقاربة تأويلية في مشكلات المعرفة. دار الأديب للنشر والتوزيع. ص 87. 88

[2] –عبد الرزاق دحمون . م .س ص 140.

كما نقل الثعالبي اجتهاده عن أبي حيان في البحر المحيط والصفاقسي في الفقه والنحو وابن العربي في أحكام القرآن وغيرهم من المفسرين والفقهاء .ومن نماذج تفسيره بالرأي قوله تعالى:" يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ "[1]

حيث يورد رأي مجاهد بأن الروح النبوية ورأي ابن عباس بأن الروح الوحي وقتادة بالرحمة والوحي والربيع بن أنس كل كلام الله روح مصداقا لقوله تعالى: "وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا۠ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُوراً نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا۠ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ "[2].

ثم يعقب الثعالبي بقوله: "والله أعلم بحقيقة ذلك وهذا أمر لا يقال بالرأي فإن صح فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم وجب الوقوف عنده"[3].

وفي تفسير آخر يدلي الثعالبي باجتهاده الذي يرجح صحة الرأي فيه بصحة وقوعه وصدوره عن النبي صلى الله عليه وسلم وموافقته للآية وهذا يظهر من

---

[1]–سورة النحل الآية 02.

[2]– سورة الشورى .الآية 49

[3]– الثعالبي. م. س. ص 415

خلال تفسيره للآية: " وَمَنْ يَّعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ اَوُ انثىٰ وَهُوَ مُومِنٌ فَاُوْلَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً وَمَنَ اَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنَ اَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفاًۗ وَاتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا[1]؛ حيث يرى أن الحرف (من) يفيد في الآية البعضية أو البعض وفيه رفق بالعباد والصالحات لا تكون إلاّ إذا أسّست على الإيمان كمبدأ أساسي وركن يدخل الجنّة ومن يخلص لله في أعماله ونيته يكن دينه مقبولا دين إبراهيم خليل الله.

ولقد اجتهد الثعالبي في تفسير هذه الآية أو هاتين الآيتين وهو ينقل عن سابقيه بيانا ولغة لكنه لم يفصح عن هؤلاء لأنه يعتبر هذا المعنى متناولا عند العرب ومن نماذج اجتهاده أيضا ما ورد في تفسيره للآية: "وَلاَ تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَناً قَلِيلًاۖ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۥ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ"[2]

حيث يرى أن معنى الاشتراء الوارد في الآية الرشوة، وأخذ حقوق الناس لأن ما عند الله أوفى و أكرم له من ذل السؤال وذنب الطمع ،وفي رأي الثعالبي هنا دعوة إلى الصبر على الشهوات (شهوة المال غير المشروع).

[1] – سورة النساء. الآية 123 – 124

[2]– سورة النحل .الآية 96

وهذا على أساس أن الحلال بين والحرام بين ولا غبار عليه من الخطأ والزلل.

كما يرى الثعالبي من خلال تفسيره واجتهاده في الآية "إِعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَالْأَوْلَٰدِ "[1] أن الدنيا دار ضعة وخسران ،"وهي الاشتغال والتصرفات والفكر والتي هي مختصة بالحياة الدنيا وأما ما كان من ذلك في طاعة وما كان في الضرورات التي تقيم الأول وتعين على الطاعات دخل له في هذه الآية"[2].

ثم يأتي بأمثلة من تاريخ الملوك الذين قهرتهم الدنيا بشهواتها، ومراحل نشوء الإنسان التي تبين أنه ضعيف أمام قدرة الله الذي خلقه فهكذا هي الدنيا دار زوال وفناء .

و في معرض تفسيره للآية "فأقم وجهك للدين حنيفا "[3] يرى بأن المقصود بالوجه القوة والجدّ فالوجه يجمع جميع الحواس وهو مصدر الحياة وفطرة الإنسان التي خلقها الله فهنا ربط بين الوجه(الفطرة) والدين الحنيف الخالص.

وكأنه تعالى قال: "أقم وجهك للدين الذي هو الحنيف وهو فطرة الله الذي

[1] – سورة الحديد . الآية 20

[2]– الثعالبي .ج 4 م .س .ص 377

[3] – سورة الروم. الآية 30.

على الإعداد له فطر البشر لكن تعترضهم العواض"[1].

هذا ، ومن قراءاته أيضا ما جاء في سورتي يس و الرحمن مثل :

➢ **مسألة خلق القرآن:**

في معرض تفسيره للآية: "ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ "[2] يقرر أن كلام الله ليس مخلوقا متبعا طريقة استقراء لفظة الخلق في القرآن ذلك" بأن الله تعالى ذكر القرآن في كتابه في أربعة وخمسين موضعا ما فيها موضع صرح فيه بلفظ الخلق أشار إليه وذكر (الإنسان) على الثلث من ذلك في ثمانية عشر موضعا كلها نصت على خلقه وقد افترت ذكرهما في هذه السورة على هذا النحو"[3] وهذا رأي أهل السنة من المذاهب الأربعة.

➢ **مسألة الاسم والمسمى:**

في تفسيره للآية: "تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ "[4] يرى الثعالبي أن الاسم هو المسمى نفسه أو صفة متعلقة به ناقلا ذلك عن الصفاقسي:" الاسم هو الدال بالوضع على موجود في العيان إن كان محسوسا وفي الأذهان إن كان معقولا من غير تعرض ببنية للزمان ومدلوله هو المسمى والتسمية جعل ذلك

[1] – الثعالبي. ج 3 . م س. ص 316

[2] – سورة الرحمن.الآية 01 –.02

[3] – الثعالبي . ج4 . نفسه. ص329

[4] – سورة الرحمن .الآية 77

اللفظ دليل على المعنى فهي أمور ثلاثة متباينة فإذا أسندت حكما إلى لفظ اسم فتارة يكون حقيقة نحو: زيد اسم ابنك وتارة يكون مجازا وهو حيث يطلق الاسم ويراد به المسمى"[1].

- **مسألة فناء الروح:**

من خلال تفسيره للآية "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَلِ وَالإِكْرَامِ فَبِأَيِّ ءَالآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ "[2] ونقلا عن علماء الإسلام يجد أن "الروح لا تموت لأنها خلقت للبقاء كما يرى أن الأرواح كلها أحياء بمعنى غير فانية ولا فرق في ذلك بين أرواح الشهداء وغيرهم إلا ما خصص الله به الشهداء من زيادة المزية والحياة التي ليست بمكيفة"[3].

وهو بهذا يرد على قول المعتزلة والباقلاني من الأشاعرة في قولهم بأن الروح تموت مصداقا لقوله تعالى: "كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ "[4]

---

[1]- الثعالبي ج.1 م س ص34

[2]- سورة الرحمان الآيات 24. 25. 26

[3]- الثعالبي نفسه ص 176

[4]- سورة آل عمران الآية 185

- **مسألة الجنة:**

في معرض تفسيره للآية:" فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَآنٌّ "[1] يذهب إلى أن" قاصرات الطرف هن الحور قصرت ألحاظهن على أزواجهن لم يفتضهن إنسان ولا جان فنفى سبحانه جميع المجامعات (الياقوت والمرجان) هي من الأشياء التي قد برع حسنها واستشعرت النفوس جلالتها فوقع التشبيه بها فيما يشبه ويحسن بهذه المشبهات فالياقوت في إملاسه وشفوفه ولو أدخلت فيه سلكا لرأيته من ورائه وكذلك المرأة من نساء الجنة يرى مخ ساقها من وراء العظم والمرجان في إملاسه وجمال منظره وفوق هذا فهن محجوبات في بيوت اللؤلؤ والدر المجوف لا يراهن إلا أزواجهن"[2] مصداقا لقوله تعالى : "فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَآنٌّ "[3] ، والحديث الشريف "أن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن" وأيضا قوله عليه الصلاة والسلام "ولو أن امرأة من أهل

[1]- سورة الرحمان الآية55

[2]-الثعالبي. ج4 م س ص 338/ 339.

[3] - سورة الرحمن الآيات 69 - 70-71-72-73.

الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحا ولنصيفها على رأسها أي: الخمار خير من الدنيا وما فيها"[1].

➢ **قراءته في النار:**

من خلال تفسيره للآية " هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ "[2] يرى أن المقصود من الآية التوبيخ فهم في عذاب لا موت فيه ولا حياة "وهم يترددون بين نار جهنم وجهرها وبين حميم وهو ما غلي في جهنم من مائع عذابها"[3]،وأن الجنة والنار لا تفنيان ولا يفنى ما فيهما.

➢ **قياس الغائب على الشاهد:**

في تفسيره للآية " إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَنْ يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ "[4] يجد أنّ الله سبحانه وتعالى منزه عن النقصان .و عن أن يكون له

[1]– رواه البخاري

[2] – سورة الرحمان الآية 43– 44

[3]– الثعالبي. م س. ص 337

[4]– سورة يس الآية 81

ولد وصاحبة تعالى عن ذلك " وهذه الآية رد على الكفار بقياس الغائب على الشاهد"[1].

- **أسماء الله الحسنى:**

يثبت الثعالبي أسماء الله الحسنى وهو ينقل موقفه عن السلف والخلف رادا على بعض المتكلمين في قولهم بالقديم كأنهم من أسماء الله ،وهو غير وارد في أسمائه الحسنى من خلال تفسيره للآية "حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ "[2] والعرجون القديم الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني فإذا وجد الجديد قيل للأول قديم وهو منقول عن أهل السنة والجماعة.

- **اليد:**

من خلال تفسيره للآية: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتَ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰماً فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ "[3]يعني لفظ اليد عند الثعالبي القدرة والنعمة ردا على أقوال المشبهة بأن اليد هي الجارحة ،والله ستر ابن ادم عن ذلك.

---

[1]- الثعالبي م س ص 654

[2]- سورة يس الآية38

[3]- سورة يس الآية 70

➢ **وظائف الأنبياء والرسل:**

في معرض تفسيره للآية "وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا اَصْحَـٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذَ اَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ اِثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ "[1] يرى أن الرسول والنبي مكلف بدعوة الناس إلى التوحيد والعبادة، فالله من خلال الآية "أرسل إلى أصحاب القرية رسولين لدعوتهما إلى عبادة الله وتوحيده ،وشدد الله أمرهما بثالث وقامت الحجة على أهل القرية"[2].

➢ **<u>القضاء والقدر:</u>**

في تفسيره للآية "أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنَ اَنتُمْ إِلاَّ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ "[3].

يقرر أن القضاء والقدر هو أحد أركان الإيمان يجب التسليم بهما فالله تعالى يعلم جميع أفعال العباد والمخلوقات في المستقبل، وكل شيء في هذا الكون مقدر من الله.

---

[1]- سورة يس الآية 13

[2]- الثعالبي. م س . ص 08

[3] - سورة يس الآية 46

➢ **مسألة ضرب الأمثال والاعتبار بما حدث للأنبياء والرسل وغيرهم:**

من خلال تفسيره لقوله تعالى: "أَوَ لَيْسَ ٱلذِے خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَالاَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَنْ يَّخْلُقَ مِثْلَهُم ۖ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٠﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا اَنْ يَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨١﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلذِے بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون "[1]..

يقرر أن الله سبحانه وتعالى قادر على إحياء الخلق بعد الموت وهو خالق السموات والأرض لكن البعض ينكرون هذا الملك والقدرة كما ينكرون البعث من القبور.

➢ **الصراط:**

ينقل الثعالبي مذهب أهل السنة والجماعة في إثباته للصراط يوم القيامة ومرور الخلق عليه، لكن الاختلاف حاصل في كيفية ورود المؤمنين النار حيث يورد ثلاثة أقوال:

➢ **القول الأول:**

ورود المؤمنين النار هو ورد دخول بمعنى مرورهم على الصراط لكنها لا تعدو عليهم ثم يخرجهم الله تعالى منها بعد معرفتهم حقيقة ما نجوا منه وبهذا قال الصحابة كابن عباس وابن مسعود وغيرهما وهو قول أكثر أهل العلم.

القول الثاني:

هو ورود إشراف واطلاع وقرب وحسب المؤمن بهذا هو لا .

[1]- سورة يس الآيات 80 -81- 82-

القول الثالث:

أن الله تعالى يجعل النار يوم القيامة جامدة الأعلى كأنها إهالة فيأتي الخلق كلهم برهم وفاجرهم فيقعون عليها ثم تسوخ بأهلها ويخرج المؤمنون الفائزون لم ينلهم ضرروى هذا كعب بن مائع الحميري (كعب الأحبار) وأبو نضرة (المنذر بن مالك بن قطعة) وزاد وهو معنى قوله تعالى: "فَاسْتَبَقُواْ الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ "[1].

و أمام هذه الأقوال يرجح الثعالبي القول الأول وهو رأي أهل العلم فالورود في رأيه هو المرور على الصراط يستند في ذلك على عدة أحاديث كما يورد قول ابن مسعود رضي الله عنه "أن الورود هو الجواز على الصراط".

والحديث الشريف: عن حفصة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يدخل النار أحد من أهل بدر والحديبية قالت: فقلت: يا رسول الله وأين قول الله تعالى: "وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً"[2]فقال

[1] – سورة يس الآية65

[2]– سورة مريم الآية 71

النبي صلى الله عليه وسلم فمه أفلم تسمعيه يقول: "ثُمَّ نُنَجِّي ٱلذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جُثِيّاً "[1].

وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "وترسل الأمانة والرجع فتقومان جنبي الصراط يمينا وشمالا فيمر أولهم كالبرق قال: قلت : بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق؟ قال: ألم تر إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ثم كمر الطير وأشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونبيكم صلى الله عليه وسلم قائم على الصراط يقول رب سلّم سلّم حتى يجيز الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة تأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفا".[2]

ويؤكد الثعالبي رأيه المستند إلى أهل العلم حيث يورد رأي المحاسبين "واذكر الصراط بدقته وهو له وزلته وعظيم خطره وجهنم تخفق بأمواجها من تحته فياله من منظر ما أفظعه وأهوله فتوهم ذلك بقلب فارغ وعقل جامع فإن أهوال القيامة إنما خفت على الذين توهموها في الدنيا بعقولهم فتحملوا في الدنيا الهموم خوفا من مقام ربهم فخففها مولاهم يوم القيامة عنهم"[3].

كما يدعم رأيه بقول الغزالي "أن الصراط أحد من السيف وأرق من الشعر فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا وأثقل الظهر بالأوزار وعصا تعثر في أول قدم

[1]– سورة مريم الآية 72

[2] – رواه مسلم

[3]– الثعالبي. ج3. م س ص 264

على الصراط فأطل فكرك في ذلك فإن أسلم الناس من أهوال القيامة من أطال فكره فيها في الدنيا أمنها في الآخرة قال: ولست أعني بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينك ويرق قلبك في حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود إلى لهوك ولعبك فما ذلك من الخوف في شيء بل من خاف من شيء هرب منه ومن رجا شيئا طلبه".[1]

ومن قراءاته أيضا مسألة الجهاد التي يراها دعامة أساسية من قواعد الإسلام فالظروف التي أحيقت به عكست نظرته إلى الجهاد فهو واجب على المؤمن مصداقا لقوله تعالى: " فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ "[2]، مستندا في ذلك على الحديث الشريف "والله لأقاتلنكم حتى تنفرد سالفتي" وما التخلف عن الجهاد إلا بسبب حب شهوات الدنيا كما بين لنا كيف جاهد الصحابة في سبيل الله وبذلوا نفوسهم لله" ألا ترى إلى حال الصحابة رضي الله عنهم قتلهم في صدر الإسلام وكيف فتح الله لهم البلاد ودان لدينهم العباد لما بذلوا لله أنفسهم في الجهاد وحالنا اليوم كما ترى عدد أهل الإسلام كثير ونكايتهم في الكفار نزر يسير"[3].

و كيف تخلف ملوك زمانه عن الجهاد ذاكرا الرباط وفضله و معتمدا على عدة أحاديث شريفة منها "من تعلم الرمي وتركه فليس منا أو قد عصى"[4].

وقوله تعالى: " وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ "[5].

---

[1]– أبو حامد الغزالي. م س ص 524

[2]– سورة النساء الآية .83

[3] – الثعالبي . ج 1 .م س. ص 318

[4]– رواه مسلم

[5]– سورة الأنفال .الآية 61

و قراءات أخرى مثل :

- **كنز الأموال:**

أي منع حقوق الفقراء منه وعلى هذا كثير من العلماء "قال علي رضي الله عنه أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة وما زاد عليها فهو كنز وإن أديت زكاته وقال أبو ذر وجماعة معه ما فضل من مال الرجال على حاجة نفسه فهو كنز وهذان القولان يقتضيان أن الذم في حبس المال لا في منع زكاته فقط"[1].

ومن الأحاديث الشريفة التي استند إليها عن علي بن أبي طالب وابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله فرض للفقراء في أموال الأغنياء قدر ما يسعهم فإن منعوهم حتى يجوعوا ويعروا ويجهدوا حاسبهم الله حسابا شديدا وعذبهم عذابا نكرا"[2].

- النساء: من خلال تفسيره لقوله تعالى: "يَهَبُ لِمَنْ يَّشَآءُ إِنَـٰثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَّشَآءُ ٱلذُّكُورَ "[3] يقرأ اهتمام الإسلام بالمرأة وخير دليل على ذلك أنه كرمها فبدأ بها.

وفيه دعوة إلى احترام المرأة وصونها لأنها دعامة المجتمع وحجابا من النار "وقال وائلة من الأسقع: من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر لأن الله تعالى بدأ بذكر الإناث"[4].

---

[1]- الثعالبي.ج2 م س ص 127 -128

[2] -نفسه ص 128

[3]- سورة الشورى الآية46

[4]- الثعالبي .ج4 نفسه. ص117

كما بين أن القرآن الكريم حقق للمرأة مكانة تساوي مكانة الرجل مصداقا لقوله تعالى: " فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ "[1].

حيث يجد الثعالبي أن المساواة في الآية حاصلة في الأجر والثواب ناقلا عن الفخر الرازي "والمعنى أنه لا تفاوت في الثواب بين الذكر والأنثى إذا استووا في الطاعة وهذا يدل على أن الفضل في باب الدين إنما هو بالأعمال لا يسر صفات العاملين لأن كونهم من ذكر أو أنثى أو من نسب خسيس أو شريف لا تأثير له في هذا الباب"[2].

– الحكمة: يرى الثعالبي أن الحكمة معناها إتقان العمل والقول والقرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم كلهما حكمة وهي "قوانين المعاني المحكمة والأفعال الفاضلة"[3] وأيضا هي "العمل بالعلم"[4].

– الشورى: ينقل في موقفه من الشورى عن ابن عطية حيث يقول "ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب هذا مما لا خلاف فيه وقد وردت أحاديث كثيرة في الاستشارة ومشاورته عليه السلام إنما هي في أمور الحرب والبعوث من أشخاص النوازل فأما في حلال أو حرام أو حد فتلك قوانين شرع"[5].

---

[1] – سورة آل عمران الآية 195

[2] – الثعالبي . م . س . ص343

[3] – .نفسه. ص343

[4] – نفسه ص233

[5] – نفسه ص.327

ومنه فقراءة الثعالبي لهذه الموضوعات انبثقت من الكتاب والسنة كيف لا وهي صادرة من نفس مؤمنة صادقة ارتبطت بكتاب الله وسنته نفس نقية ورعة تخشى الله.

وإذا انتقلنا إلى تفسيره للآية "إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُّشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَّشَآءُ وَمَنْ يُّشْرِكْ بَاللَّهِ فَقَدِ إِفْتَرَىٰٓ إِثْماً عَظِيماً " [1] نجده ناقش مسألة مرتكب الكبيرة مستعينا في بيان "أن مرتكب الكبيرة هو تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه بمنهج كلامي دقيق وأسلوب علمي يعرف عند العلماء بتحرير محل النزاع بعد بيان محل الاتفاق في المسألة ومعنى هذا "محاكمة بين الآراء وتحرير محل الاتفاق وبيان ما تعارض منها" و فيه رد على المعتزلة من خلال الآية "إن الله لا يغفر أن يشرك به" فالمعتزلة ترى صاحب الكبيرة والصغيرة مخلد في النار ولا إيمان له وفيه رد على الخوارج من خلال قوله تعالى"إِنَّهُۥ مَنْ يُّشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوِيهُ ٱلنَّارُ " [2]حيث "الخوارج ترى صاحب الكبيرة في النار من خلال تمسكهم بهذه الآية في التفكير بالذنب"[3].

---

[1]. – سورة النساء الآية 47

[2] – سورة المائدة الآية 74

[3]– عبد الرزاق دحمون م س ص.381

وقد استعمل الثعالبي ذلك التقابل بالتحليل والمناقشة والنقض والرد والاستدراك والتصويب فعرض أهم الأقوال واتفق عليه, ثم انتقل إلى بيان محل النزاع بين الفرق في موت المذنب قبل توبته.

ورجح بعد ذلك رأي أهل السنة والجماعة مناقضا رأي المخالفين حيث يقول: "وقال أهل السنة و(الجماعة): هو في المشيئة وهذه الآية هي الحاكمة وهي النص في موضع النزاع وذلك أن قوله تعالى: "إن الله لا يغفر أن يشرك به" فصل مجمع عليه وقوله تعالى "ويغفر مادون ذلك" فصل قاطع للمعتزلة رادا على قولهم ردا لا محيد لهم عنه ولو وقفنا في هذا الموضع من الكلام لصح قول المرجئة إنما هو لقوم دون قوم بخلاف ما زعموه من أنه مغفور لكل مؤمن"[1].

ومن اجتهاداته أيضا حين يناقش كل من ابن عطية والزمخشري في معرض تفسيره للآية "وَلَمَّا جَآءَ مُوسىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۖ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ "[2] التي يرى فيها أن الحرف (لن) لا يقتضي النفي المؤبد ردا على اعتقاد كل من الزمخشري وابن عطية (أن الله لا يرى) استنادا إلى رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم كما أسس اجتهاده على أن استقبال المنفى

[1]- الثعالبي ج1 م س ص436

[2]- سورة الأعراف الآية 143

بها مغيبا إلى غاية ينتهي بانتهائها مصداقا لقوله تعالى: "فَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ "[1] وهو واضح انتهى"[2].

والثعالبي وهو يفسر القرآن يقف على إعجازه ويكشف مظاهر عظمته وتفرده معتمدا على بعض المصادر خاصة ابن عطية مثل قراءته في تفسير الآية: "أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلأَنْعَـٰمِ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ "[3]حيث ينقل عن ابن عطية "وهذه الآية مما تلوح فصاحتها وكثرة معانيها على قلة ألفاظها لكل ذي بصر بالكلام ولمن عنده أدنى إبصار وقد حكى النقاش أن أصحاب الكندي , قالوا للكندي: أيها الحكيم أعمل لنا مثل هذا القرآن فقال نعم أعمل لكم مثل بعضه فاحتجب أياما كثيرة ثم خرج فقال: والله ما أقدر عليه ولا يطيق هذا أحد إني فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة فنظرت فإذا هو قد أمر بالوفاء ونهى عن النكث وحلل تحليلا عاما ثم استثنى استثناء ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين ولا يستطيع أحد أن يأتي بمثل هذا إلا في أجلاد"[4].

---

[1]– سورة طه. الآية 90

[2]– الثعالبي. ج2م س.ص 65

[3] – سورة المائدة الآية 02

[4] – الثعالبي . نفسه.ص522

و كذا في قراءته للآية: "أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرِىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ "[1]

التي يحمل فيها التحدي معنيين معجزين الأول يخص الأسلوب (الجزالة والإيجاز النظم والرصف) والثاني يخص المعنى (الغيب بالماضي والمستقبل) وهو في هذا يستند إلى قول الجمهور.

وللثعالبي قراءته الخاصة لإعجاز القرآن ولو كانت قليلة فمثلا في تفسيره لقوله تعالى: " وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا "[2] يرى بأن من مظاهر إعجاز القرآن ورود النقيض لما يتقدم ذكره حيث ذكر الله سبحانه وتعالى صدقات القوم الذين لا خلاف لهم وعقب بذكر صدقات القوم الذين وجهوها في الشرع ليضرب بهم المثل.

وأيضا في تفسيره لقوله تعالى: "ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ "[3] يجد أن الله عدد النعم وليس الذنب ف" لو كان هذا القول في تعديد تعالى ذنب لكان الابتداء بالجهة التي هي على المذنب كما قال عز

[1] – سورة يونس الآية 38

[2] – سورة البقرة الآية 264

[3] – سورة التوبة الآية 119

وجل: "فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ "[1] ليكون ذلك أشد تقريرا للذنب عليهم وهذا من فصاحة القرآن وبديع نظمه ومعجز اتساقه"[2].

ومنه يرى الثعالبي الإعجاز كله في القرآن بالرغم من اختصاره لقراءاته الإعجازية.

[1] – سورة الصف الآية 5

[2]– الثعالبي. م س ص215

الفصل الرابع:

تأثر الثعالبي بمتقدميه [ابن عطية]

➢ **مصادر تفسير الثعالبي:**

استقى الثعالبي منهج تفسيره ومبادئه من عدة كتب انتقلت بين التاريخ والفقه والسيرة، ووصلت زهاء مئة في طليعتها تفسير ابن عطية أبي محمد عبد الحق أبي بكر بن غالب (481-542ه) الغرناطي المسمى بـــ"المحرر الوجيز في شرح كتاب الله العزيز".

ثم مصادر أخرى منها كتب السنة للبخاري ومسلم، والسنن الكبرى للبيهقي والأذكار والأدعية للنووي، وسلاح المؤمن، الترغيب والترهيب للمنذري والتذكرة للقرطبي، والعاقبة لعبد الحق الخراطي البجائي ومصابيح السنة للبغوي.

يقول الثعالبي:"في هذا المختصر جملة صالحة لا توجد في غيره من التفاسير فعليك بتحصيله فتطلع فيه على جواهر نفيسة لا توجد في غيره كما هي بحمد الله حاصلة فيه، وكيف لا يكون هذا المختصر فائقا في الحسن، وأحاديثه بحمد الله مختارة أكثرها من أصول الإسلام الستة، البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة فهذه أصول الإسلام، ثم من غيرها كصحيح ابن حيان وصحيح الحاكم أعني المستدرك على الصحيحين وأبي عوانة و.بن خرديمة والدارمي والموطأ، وغيرها من المسانيد المشهورة بين أئمة الحديث حسبما هو معلوم في علم الحديث"[1].

وقد اعتمد الثعالبي في تفسيره على هذه المصادر؛ حيث أخذ منها ما يتعلق بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، كما اعتمد على مصدر السيرة النبوية لابن هشام، وكتاب الآيات والمعجزات لحسن بن علي بن عبد الملك الرهوني المعروف بابن القطان نقل عنه الثعالبي معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وتبشير الكتب

[1]- عبد الرحمن الثعالبي .ج1 .م. س 249.

السماوية ببعثته كما أخذ عن جامع البيان للطبري ما يتعلق بقصص القرآن وأخبار الأمم الخالية مع حذف بعض الأسانيد للإيجاز والاقتصار على تلخيص معاني الآيات ،و نقد بعض هذه الروايات يقبل منها ويردّ.

واستند أيضا في تفسيره "الجواهر الحسان" على كتاب المغازي للبخاري ومسلم، وكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض للرد على المخالفين مثلا في معرض تفسيره لقوله تعالى:" فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ "[1]يعتمد على قول عياض:" اعلم أن ثناء الله تعالى على يحي عليه السلام بأنه حصور ليس كما قال بعضهم أنه كان محبوبا أولا ذكر له، بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين ونقاد الأمة وقالوا إن هذه نقيصة وعيب ولا يليق بالأنبياء عليهم السلام، إنما معناه معصوم من الذنوب، أي لا يأتها كأنما حصر عنها، وقيل، مانعا نفسه عن الشهوات، وقيل ليست له شهوة في النساء عناية من الله به، لكونها مشغلة في كثير من الأوقات حاطة إلى الدنيا، ثم هي في حق من لم قدر عليها وقام بالواجب فيما لم تشغله عن ربه درجة عليا وهي درجة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وسائر النبيين"[2].

[1]– سورة آل عمران .الآية 39.

[2]– عبد الرحمن الثعالبي.م.س. ص 315.

وقد استقى منهجه أيضا من كتاب "السنن الصالحين" لسليمان بن خلف الباجي وكتاب " السلوك" لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الساحلي المالقي، وكتاب "الكلم الفارقية والحكم الحقيقية" لأبي القاسم عبد الرحمن بن يوسف اللجائي وكذا كتاب "المنتخب" لابن الجوزي وغيرها من الكتب التصوفية . ولم يمنعه اغترافه من تلك الكتب الزخمة من الاتصال بمشايخ التصوف والاستفادة من تجاربهم وأفكارهم.

فضلا عن كتب السيرة لم ينس الثعالبي أن ينقل في تفسيره ولو القليل عن كتب التاريخ الإسلامي مثل "بهجة النفس" لهشام بن عبد الله القرطبي .و"الاكتفاء في أخبار الخلفاء" و "ترتيب المدارك في أعلام مذهب الإمام مالك" للقاضي عياض.

ولاشك أن كتب التصوف طاغية في تفسير الثعالبي، فهو مشهور أنه متصوف أكثر منه عالم وفقيه، من هذه الكتب "الإحياء" لأبي حامد الغزالي و"المنهاج" للمحاسبي، وكتاب "التوهم"، والقصد إلى الله، و"اختصار العز بن عبد السلام" وكذا "عيوب النفس" لأبي عبد الرحمن السلمي، كما استعان بكتابات القشيري "رسالته في التصوف" وكتاب "التحبير" وكتاب"العاقبة في الحشر والنشر" لعبد الحق الاشبيلي، و "التنوير لابن عطاء الله، وكذا كتاب "الفرج بعد الشدة" للقاضي أبي علي التنوخي، أحد الرواة عن أبي الحسن الدار قطني وكتاب "التشوف إلى رجال التصوف" للشيخ أبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي.و "صفوة التصوف" لأبي الفصل محمد بن طاهر المقدسي الحافظ، و "المدخل للتصوف"

لأبي عبد الله بن الحاج، نقل عنه مثلا في فضل قيام الليل وأسراره في تفسير قوله تعالى:" وأما الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا"[1].

ومنه ،فإن الثعالبي نوّع معارفه و أسس منهجه و قراءاته على أنواع مختلفة من الكتب منها التاريخي و الفقهي والسيري والتفسيري والتصوفي، وكانت قراءاته أمينة واضحة موجهة ،نافذة من أ جل أن يخرج تفسيرا شاملا متجانسا.

- **بين قراءة الثعالبي وابن عطية:**

ابن عطية (480-541ه) هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي الحافظ القاضي العلّامة، المؤول الأشعري الذي قال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية "وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة والجماعة وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري، ولو ذكر كلام السلف الموجود في التفاسير المأثورة عنهم على وجهه لكان أحسن وأجمل، فإنه كثيرا ما ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبري وهو من أجل التفاسير المأثورة وأعظمها قدرا، ثم إنه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين: وانما يعني بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرروا أصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم، وإن كانوا أقرب إلى السنة، من المعتزلة"[2].

وابن عطية من خلال كتابة "المحرر الوجيز" سلك تفسير الأولين ، حيث جمع فيه بين التفسير بالمأثور والمعقول، وهو حين يستند إلى المأثور يكتفي بذكر الصحابي الراوي للحديث دون تخريج الحديث ،وكثيرا ما ينقل عن الطبري ابن جرير.

---

[1] – أبو عبد الله محمد الحمود النجدي، القول ،المختصر المبين في مناهج المفسرين،. دار الامام الذهبي الكويت ، ط1، 1417 .ص19.

[2]– الثعالبي. ج2 .م س. ص.424

أما المعقول (الرأي) فكان يحتمل في تفسيره الآيات ؛أي يضعها على أوجه نقلا عن المفسرين، ومستشهدا في تفسيره بالشعر العربي (الشواهد العربية واللغة العربية (النحو)، ومستندا إلى القراءات في توجيهه للآيات، وقد قال عنه أبو حيان في مقدمة تفسيره عند مقارنته لابن عطية والزمخشري، "وكتاب ابن عطية أنقل وأجمع وأخلص، وكتاب الزمخشري ألخص وأغوص"[1].

ومن المصادر التي استقى منها الثعالبي منهجه "جامع البيان" للطبري مناقشة لا نقلا، وصحيح البخاري في الحديث، والمحتسب لأبي الفتح ابن جني في علم القراءات، يقول الأستاذ عبد الوهاب:"وقد لاحظت أن ابن عطية في بعض نقوله عن أبي علي الفارسي كانت له شخصيته الناقدة وعقليته الفاحصة حيث كان أحيانا يناقش الفارسي ويتعقبه في أقواله وآرائه"[2].

أما مصادره في النحو واللغة ف"معاني القرآن" للفراء، و"الكتاب" لسيبويه، و"العين" للخليل، وفي الفقه خاصة في المذهب المالكي، "الموطأ" لمالك، يقول ابن عطية "ففرغت إلى تعليق ما يتصل لي في المناظرة من علم التفسير وترتيب المعاني وقصدت فيه أن يكون جامعا، وجيزا محررا لا أذكر من القصص إلا ما لا تنفك الآية إلا به، وأثبت أقوال العلماء في المعاني المنسوبة إليهم على ما تلقى السلف الصالح، رضوان الله عليهم كتاب الله من مقاصده العربية السليمة."[3].

وباختصار فمنهج ابن عطية يقوم على الجمع بين المأثور والرأي (الاجتهاد)، فهو يذكر الصحيح والضعيف من الأحاديث دون الأسانيد كما يقوم على نظام اللغة والنحو (الشواهد)، وتوجيه القراءات الشاذة للحيطة في الأخذ بالإسرائيليات، ثم

---

[1]– القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية .المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .تح عبد السلام عبد الشافي .ج1 منشورات محمد علي بيضون .دار الكتب العلمية .بيروت لبنان .ط1 2001.ص19

[2]–.نفسه ص23.

[3] نفسه. ص 23

محاربة التفسير الرمزي و الباطن ، والقلة في استعماله للأسرار البلاغية، فهو "لم ينتفع بقواعد المحدثين وأصولهم في الرواية بل جمع في تفسيره بين الأحاديث الصحيحة وغيرها، وغلب عليه ما يغلب على عامة المفسرين من حشو كتبهم، أحيانا، بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، وفي رأي أن هذا المسلك الذي سلكه ابن عطية في هذا السبيل أمر يجب أن يؤخذ على ابن عطية وينتقد تفسيره بسببه"[1].

وقد انتقد أبو حيان ابن عطية في باب القراءات "وذلك عندما يجد ابن عطية يرد إحدى القراءات الصحيحة مثلا ،أو يخرج القراءات تخريجا غريبا لم يذهب إليه أحد من النحاة ،أو يرجح قراءة على أخرى لاعتبارات نحوية وبلاغية غير مسلمة أو يتوقف في إثبات إحدى القراءات، أو توجيهها فيقوم أبو حيان بإثبات ذلك، أو توجيهه .وإذا كان أبو حيان يقول "إننا لا نتعبد بمذهب البصرين في النحو فكيف ساغ له أن يلزم ابن عطية بمراعاة مذهبه وتفسيره على الدوام"[2].

والثعالبي في اختصاره لهذا التفسير يلد لنا كتابا وتفسيرا "لا يستغنى عنه المنتهي وفيه كفاية المبتدئ يستغني به عن المطولات إذ قد حصل فيها لبابها، وكشف عن الحقائق حجابها"[3].وهو كتاب زاد لكل مفسر ومتدين يتحرى به الصواب.

لقد كان الثعالبي مدققا في نقله، يعتمد على المفسرين الثقات في الأمة ويقف موقفا معاديا للفلاسفة والمتكلمين من المعتزلة، حيث وصف الشيخ بن مصطفى بن الخوجة (1234ه-1333ه) تفسير الثعالبي بأنه دخيرة العلماء وكنز الطلاب "وأيم

---

[1]- محمد عبد الرحمن بيصار.منهج ابن عطية .تفسير رسالة عبد الوهاب فايد. الهيئة العامة لشؤون المطابع القاهرة 1973 ص 134.

[2]- محمد بن يوسف بأبي حيان الأندلسي. تفسير البحر المحيط. دراسة وتحقيق وتعليق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ج1. دار الكتب العلمية. بيروت ط1. 1993 ص 73.

[3]- الثعالبي.ج4. م. س. ص119.

الله أنه لتفسير جليل قد فصل مقاصد الذكر الحكيم أحسن تفصيل وحوى غياب المنقول، واشتمل على لباب المعقول وأتى من درر الفوائد بما يبهر العقول، ومن غرر الفوائد بما تذعن له الفحول، إلا عزه فمؤلفه العلامة التحرير والولي الصالح الشهير فخر مدينة الجزائر سليل الأماثل سيدي عبد الرحمن قدس الله روحه"[1].

كما وصفه بعض المفسرين "تفسيرا حوى من نوابغ البيان أوضحها ومن نقل الأقوال أمتنها وأرجحها، طوى كشحه عما ضعف نقله، وأفرغ نصحه فيها جزل نفعه وجل فضله انتخل التفاسير انتخالا وروق منها ما صفا شربه زلالا حلالا، وضرب بها يشم رائحة البدعة عرض الجدار، وشخص للقارئ أخلاق الصحابة، والسلف الأخيار"[2].

ليضيف الثعالبي الكثير وهو ينقل عن كتب بعض الأئمة المفسرين من السلف، سيما ابن عطية الذي اختاره على الأساس العقائدي والمذهبي ومجاورة المكان (كلاهما مغربي النشأة، مالكي المذهب، سني العقيدة) .وعلى أساس أنّ كتابه "المحرر الوجيز" أفضل الكتب المغربية في التفسير، الذي قال عنه ابن تيمية "وتفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري وأصلح نقلا وبحثا، وأبعد عن البدع وإن اشتمل على بعضهما بل هو خير منه بكثير بل لعله أروج هذه التفاسير"[3].وذلك ما يوضحه الثعالبي و هو يقول: «فإني جمعت لنفسي ولك في هذا المختصر ما أرجو أن يقر الله به عيني وعينك في الدارين فقد ضمنته –بحمد الله– المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية وزدته فوائد جمة من غيره من كتب الأئمة وثقات أعلام هذه الأمة، حسبما رأيته أو رويته عن الإثبات، وذلك قريب من مائة تأليف نقلت وما منها تأليف إلا وهو منسوب لإمام مشهور بالدين ومعدود

---

[1]– الثعالبي .م .س. ص 456.

[2] – نفسه . 391.

[3]– عبد الرزاق. قسوم .م. س. ص89.

في المحققين، وكل ما نقلت عنه من المفسرين شيئا فمن تأليفه نقلت، وعلى لفظ عولت، ولم أنقل شيئا من ذلك بالمعنى، خوف الوقوع بالزلل، وإنما هي عبارات وألفاظ لمن أعزوها إليه، وما انفردت بنقله عن الطبري فما اختصار الشيخ أبي عبد الله بحمد بن عبد الله بن أحمد أحمد اللغمي النحوي، لتفسير الطبري نقلت لأنه اعتنى بتهذيبه"[1].

و إن يختصر الثعالبي تفسير ابن عطية فهو يعقب معلقا على كلامه للتوضيح والبيان مثل ما جاء في تفسير قوله تعالى: " وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ "[2]، الذي يوضح فيه أن خطاب الله للملائكة متقرر منذ القدم، وهذا ما ذكره وهو من عقيدة أهل السنة حين ينقل عن كلام الأئمة عن ابن رشد "أن معنى قوله صلى الله عليه وسلم: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق أن الله عز وجل كلماته هي قوله وكلامه هو صفة من صفات ذاته لا يطالها النقص فكلامه تام ومن الحديث يوضح معنى الآية من أن كلمات الله تعالى غير مخلوقة " والحق أن كلام الله عز وجل صفة من صفات ذاته، قديم غير مخلوق لأن الكلام

[1]– الثعالبي. ج1. م س . ص 178.

[2]– سورة البقرة .الآية33.

هو المعنى القائم في النفس والنطق به عبارة عنه، قال عز وجل "وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ "[1].

ويكمن تعقيبه أيضا في رده على بعض أقوال ابن عطية خاصة القلقة منها كما جاء في رده على تفسير ابن عطية لقوله تعالى:"وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَـٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ "[2] إذ يقول " قال ابن عطية وغلط الهزلي في إطلاقه السلوى على العسل حيث قال: وقاسمها بالله عهد ا لأنتم...ألذ من السلوى إذا ما نشورها، قلت: قد نقل صاحب المختصر إنه يطلق على العسل لغة، فلا وجه لتغليطه، لأن إجماع المفسرين لا يمنع من إطلاقه لغة بمعنى آخر في غير الآية:[3]

ومن خلال الآية الكريمة "لعمرك إِنَّهم لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ "[4] يرد على ابن عطية في تفسيره للقسم حيث يرى الثعالبي أنه بحياة محمد صلى الله عليه وسلم و ليس بحياة لوط عليه السلام ليخالفه في ذلك. لأن الثعالبي يبني رأيه على رأي جمهور المفسرين .وما ذكره جمهور المفسرين أحسن لأن الخطاب –

[1] – سورة المجادلة. الآية 08.

[2] – سورة البقرة الآية 57

[3] – الثعالبي. م . س .ص67–68

[4] – سورة الحجر ،الآية 72.

خطاب مواجهة .ولأنه تفسير صحابي (عبد الله بن عباس رضي الله عليهما وهو مقدم على غيره"[1].

و في تفسير قوله تعالى:"ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ "[2]

يوجه الثعالبي كلام ابن عطية توجيها يسقط معه اعتراض أبي حيان عليه ففيما يرى أبو حيان في علة جعل هؤلاء مبتدأ و أنتم خبر مقدم .يدافع الثعالبي عن ذلك بوجود الهاء التنبيهية التي تختص بأول الكلام فنقول هاأنذا و ليس أنا هذا "قال الشيخ أبو حيان ما نقله ابن عطية عن شيخه أبي الحسن ابن البادش من جعله (هؤلاء) مبتدأ، وأنتم، خبر مقدم، لا أدري ما العلة في ذلك؟ وفي عدوله عن جعل (أنتم) مبتدأ أو هؤلاء (خبر) إلى عكسه...انتهى، قلت، قيل العلة في ذلك دخول (ها) التنبيه عليه، لاختصاصها بأول الكلام يدل ذلك قولهم: ها أنذا قائما، ولم يقولوا: أنا هذا قائما قال معناه ابن هشام فقائما في المثال المتقدم نصب على الحال...انتهى"[3].

أما في تفسيره لقوله تعالى:"وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنَ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ

[1] – الثعالبي.ج2 . م س .ص 480.

[2]– سورة البقرة الآية 84

[3] – الثعالبي.ج1. نفسه. ص85.

فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ "[1] فينقل قول ابن عطية:"واختلف في الجنة التي أسكنها آدم عليه السلام هل هي جنة الخلد أو جنة أخرى"، ويعقب عليه بـــ"والأول هو مذهب أهل السنة والجماعة"[2].

كما أنه في تفسيره لقوله تعالى:" ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ "[3].يذكر بأن ابن عطية لا يورد أسانيد المرويات ولا يذكر أيضا تخريج الحديث ويكتفي أحيانا بذكر الصحابي الراوي للحديث"[4] . و كان يعقب على مسائل قال بها ثم عدل عنها مستدركا ما غفل عنه ابن عطية.

وفي تفسيره للآية "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا "[5] ينقل الثعالبي كلام ابن عطية في تفسير هذه الآية ثم يردف بتخريج حديث غفل عن تخريجه ابن عطية، حيث يقول الثعالبي" وشهداء جمع شاهد والمراد بالناس هنا

[1] – سورة البقرة . الآية 4 3

[2] – الثعالبي. م س. ص68.

[3] – سورة البقرة، الآية 267

[4] – محمد عبد الرحمن بيصار .م س ص297

[5] – سورة البقرة. الآية 143

في قول جماعة...جميع الجنس، وأن أمة محمد صلى الله عليه وسلم تشهد يوم القيامة للأنبياء على أسلم بالتبليغ، وروى في هذا المعنى حديث صحيح على النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنه أن أمته تشهد لكل بني ناكرة قومه، قلت: وهذا الحديث خرجه البخاري وابن ماجه وابن المبارك في دقائقه وغيرهم قائلا صلى الله عليه وسلم، فذلك قوله تعالى "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً"[1].

وفي تعقيبه من خلال تفسيره قوله تعالى:"عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ "[2]. يجد أن "كل ما كان يلفظ السوء من جهة الله عز وجل فإنما هو بمعنى إيجاب الشيء لأن الله لا يدعو على مخلوقاته وهي في قبضته، ومن هنا قوله تعالى:"وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ "[3] و"وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ "[4] بأن تأويل ابن عطية مخالف لظاهر اللفظ وقد وجب تأويله هذا فهو في رأيه "قاعدة جيدة" وقد وقع له ذلك في قوله

[1] – الثعالبي. م س..ص 217.

[2] – سورة الفتح الآية 06.

[3] – سورة الهمزة.الآية 01

[4]– سورة المطففين.الآية 01.

تعالى: "صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ "[1] قال يحتمل أن يكون دعاء عليهم ويحتمل أن يكون خيرا"[2].

والثعالبي وهو يعقب يقوم بتوضيح كلام ابن عطية ففي تفسيره لقوله تعالى:"

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ "[3].

يقول:"وقوله تعالى وخطابه للملائكة متقرر قديم في الأزل بشرط وجودهم وفهمهم، وهذا هو الباب كله في أوامر الله تعالى ونواهيه ومخاطباته وقلت: وما ذكره رحمه الله: هو عقيدة أهل السنة وها أنا أنقل من كلام الأئمة، إن شاء الله، ما يتبين به كلامه ويزيده وضوحا، قال ابن رشد: قوله صلى الله عليه وسلم:"أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لا يفهم منه أن الله عز وجل كلمات تغير تامات،لأن كلماته هي قوله، وكلامه هو صفة من صفات ذاته يستحيل عليها النقص، وفي الحديث بيان واضح على أن كلماته عز وجل غير مخلوقة، إذ لا يستعاذ بمخلوق وهذا هو قول أهل السنة والحق: إن كلام الله عز وجل صفة من صفات ذاته، قديم غير مخلوق لأن الكلام هو المعنى القائم في النفس والنطق به

[1] – سورة التوبة.الآية 128

[2] – الثعالبي. ج2. م س. ص 199

[3] – سورة البقرة الآية 33

عبارة عنه، وكذلك كلام الله عز وجل القديم الذي هو صفة من صفات ذاته هو المفهوم من قراءة القارئ، لا نفس قراءته التي نسمعها لأن نفس قراءته التي تسمعها محدثة بصيرته، انتهى بلفظة من البيان"[1].

هذا هو الثعالبي في قراءته لمنهج التفسير عند ابن عطية يرجع بعض الأقوال يذكرها و يضعف الأخرى فمن الأقوال التي يرجحها تفسيره لقوله تعالى:"مَّثَلُ ٱلذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَنْ يَّشَآءُ وَاللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ واسع عليم "[2]. حيث يقول:"واختلف في معنى قوله سبحانه" والله يضاعف لمن يشاء" فقيل: هي مبيتة ومؤكدة لما تأكد من ذكر السبعمائة ضعف، قلت: وأرجع الأقوال عندي قول هذه الطائفة وفي الحديث الصحيح في ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه، تبارك وتعالى قال: إن الله تعالى كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن هو بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة"[3][4].

فهو يرجح قول بعض الطوائف بأن معنى الآية إعلام من عند الله عفة الجزاء أكثر من سبعمائة ضعف وهذا استنادا إلى الحديث الصحيح ومن الأقوال

[1] – الثعالبي. ج1. م. س.ص47.

[2] – سورة البقرة. الآية 260.

[3]– رواه مسلم وبخاري

[4]– الثعالبي.نفسه .ص210.

التي يضعفها ما جاء في تفسير قوله تعالى:"وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ ان كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ "[1].حيث يقول:"وقال ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم معنى الآية: إن كنتم صادقين في أن الخليفة يفسد ويسفك، قلت: وفي النفس من هذا القول شيء، والملائكة منزهون معصومون كما تقدم"[2].

ومن أمثلة النقد والتصحيح:"ما أشار إليه في تعقيبه على النقاش من وطء الجن وأنه يحبل المرأة من الإنس فضعيف كله..ثم يعقب عليه منتقدا له بقوله:"وما ما ذكره من الحبل فلا شك في ضعفه، وفساد قول ناقله، ولم أر في ذلك حديثا صحيحا ولا سقيما، ولو أمكن الحبل من الجن كما زعم ناقله لكان ذلك شبهة يدر أبها الحد من ظهر بها حبل من النساء اللواتي لا أزواج لهن لاحتمال أن يكون حبلها من الجن كما زعم هذا الناقل، وهو باطل، وأما ذكره من الوطء فقد قيل ذلك، وظواهر الأحاديث تدل عليه، منها ما أورده البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم "لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال:"بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر ربينهما ولد في ذلك لم يصره الشيطان أبدا"[3].

---

[1] – سورة البقرة. الآية 30.

[2] – الثعالبي.م س. ص46.

[3] – عبد الرزاق دحمون. م س . ص 148.

والثعالبي وهو ينقد يختار ليكون محور تفسيره ابن عطية حيث "يكشف أحيانا عما يسميه قلقا في التوجيه أو في التعبير ويبين أحيانا أن ابن عطية خصص بدل أن يعمم بدون دليل"[1].

وفي تفسيره يحمل اللفظ على الحقيقة لا على المجاز ويفضل الإعادة والتكرار.

ومنه فالثعالبي يبدو من خلال آرائه وتعقيبه على ابن عطية متأثرا إلى حد بعيد بتفسيره ومهتما به. معتمدا في تفسيره على المنهج التاريخي الذي يعني بتأسيس المنقول والنصوص على الواقعة التاريخية تحقيقا ونقدا من خلال ما ورد عن المفسرين، سواء على السند أو المتن مرجحا تفسير البخاري أحيانا ومفندا الإسرائيليات . ومعرضا عن العقل في مجال الغيب معتمدا على صحة النقل حين الانتقاء والانتخاب، ومقدما في تفسيره تفسير الصحابة.ونائيا عن الجانب الفقهي (بيان الأحكام الفقهية و اختلاف المذاهب).و مؤسسا منهجه أيضا على المقارنة بين التفاسير مرجحا البعض مثل عبد الحق الخراطي أو البجائي.

[1] – الثعالبي .ج2.م س. ص192.

الخاتمة

توسمت في بحتي المتواضع أن أصل إلى ما يجب أن يكون في عالم ثعالبي تميز ووفق واختار ليكون عالما أفضل حفظ للجزائر مكانتها، وصان ظلها من كدر الغبار ولغز السؤال.

فإنتهيت إلى نتائج، ولم أنته من شخصية وسعت لتسع الجزائر، نتائج توخيتها ولعلي حققت بعضها بخالص البحث والتحقيق.

لقد كان لفساد العلاقات السياسية والإجتماعية والدينية، واضطهاد الحياة العامة أثر كبير في تكوين مجتمع متراكم، وشعب متصارع بين تشتت المغرب العربي إلى دويلات من أجل الحكم وبين أطماع الدول الأجنبية.

هذا الصراع الذي أفرز تناقضات في العلاقات والأفكار والإتجاهات، وولّد شخصيات فذة أعطت للتاريخ حقه، وفتحت الباب أمام شعب أقفلت في وجهه كل الأبواب.

شخصيات كان الثعالبي نموذجا فيها كدّ وجهد بالرغم من التراكم الفكري والتناقض الإجتماعي من أجل أن يحافظ على سيادة وطنه، كما حث على الجهاد في سبيل الله لردّ هجمات الأسبان والإفرنجة.

ولم يؤثر الركود الاجتماعي والسياسي على الحالة الفكرية للبلاد، فقد كانت في أوج نمو ها وازدهارها ،وكللت بالنجاح بكبار علمائها وجهابذة مفكريها، لكنها طبعت فيما بعد بطابع التقليد والجمود عن الإبداع والتجديد.

هذا ولقد انتهج الثعالبي وهو في دائرة هذه التداخلات الفكرية والاجتماعية منهجا انتهجه الجمهور من العلماء ، فكان أثريا ذا علم وبصيرة يقدم في تفسيره تفسير القرآن بالقرآن، ثم الثابت من السنة ثم أقوال الصحابة و التابعين .

وكتاب "الجواهر الحسان "يثبت تضلع الثعالبي في السنة ، ومعرفته بالحديث من خلال حشده الكم الهائل من الأحاديث الصحيحة ، وإيراده بعض الأحاديث الضعيفة الواهية مشيرا في ثنايا تفسيره إلى الإسرائيليات التي انتشرت في تفاسير قبله، لكنه كثيرا ما كان يبطل الأخذ بها، أو يرجئ صحتها إلى الله تعالى. لذا جاء تفسيره نقيا من الشوائب و أنقى من الروايات الإسرائيلية.

هذا التوغل في الأخذ بالحديث لم ينهه عن القول بالتفسير بالرأي الذي عالج فيه مسائل عدة، و اتخذ فيها رأيا ،لكنه لم يحظ بنصيب أوفر من نصيب التفسير بالمأثور، فالثعالبي في تفسيره بالرأي ابتعد عن الإتيان في مغيبات القرآن، و فند بذلك أراء ومذاهب فرق عديدة كالدهرية و المجسمة و المعطلة و القدرية، و غيرهم بأدلة من الكتاب والسنة .

والثعالبي متميز أيضا في النحو والبيان، إنه متفنن في تذوقه لأسرار القرآن غلب في تفسيره المنحى الصوفي، وهو يستأنس ببعض لطائف التفسير لأهل الإشارة ،و يعرض عن الآراء الغريبة الباطنية المذمومة .

لقد كان مذهبه الكلامي ذا دور في إكتشاف الخيوط البارزة في اتجاهه الصوفي الذي إنعكس على شخصيته، وكان له الحظ الأوفر في ذلك نتيجة للاضطراب الاجتماعي في فترته مفندا بذلك ما ساد من مظاهر فاسدة تمثلت في الخرافات التي ذاعت في الوسط الشعبي، والكرامات التي نسبت للأولياء وغيرها من المظاهر السلبية التي عاشها الإنسان المغربي.

فضلا عن سيادة النزعة الغزالية في عصره التي أخذ منها طريقة وأفكاره ومواقفه ، ثم زهده وورعه ونشاطه الإصلاحي كرد فعل لما فسد في مجتمعه على غرار العديد من العلماء والمفكرين في عصره، دون أن نغفل سيرته العطرة وصدره الرحب وتفانيه في طلب العلم منذ الصغر، ورحلاته العلمية التي جابت

العالم ودامت قرابة ربع قرن من الزمان ،وتنوع انتاجه الفكري وشموليته بين التفسير والحديث والفقه والتصوف والتاريخ، وتأثير حركة التأليف الموسوعي المشرقي في المغرب العربي غلى تكوين الثعالبي العلمي بالرغم من طابع التقليد والركود على الحركة العلمية التي عاصرته، فجل الكتب والتآليف كانت مستوحاة من مصادر سالفة على غرار "الجواهر الحسان " التي استوحت مادتها من كتاب "المحرر الوجيز" لابن عطية .

كل هذا كان له الفضل في ميلاد عالم متعلق بسنة الرسول عليه الصلاة والسلام، ومحذر من مغبة مخالفتها.

كيف لا وهو الذي أبحر في علوم القرآن، وتميز عن أقرانه بدقة نقله من المصادر، و صحة إسناد الأقوال والنصوص والمرويات والأخبار (الأمانة العلمية).

بالإضافة إلى مساهمته التي لا تقل قدرا عن معاصريه وسابقيه في تبسيط المسائل العقدية ،و توظيفها في ثنايا تفسيره (باب العقائد).

كما تبين أنه مهتم بالمسائل والأحكام الفقهية في الأصول والفروع في مذهبه المالكي والمذاهب الأخرى، يعرض آراءها ويناقشها، ثم ينتهي إلى الترجيح بموضوعية بالرغم من مالكيته التي كان لها اليد الطولي في قراءاته.

وقد غابت نوعا ما شخصيته الفقهية، فأكثر نقله كان عن أحكام إبن العربي.

واهتم في قراءاته بموضوع النسخ في القرآن وهو يعرض رأي أهل السنة الذي دافع عنه وأنكر على رافضيه موردا نماذج تطبيقية على ذلك، وتتبع وجوه القراءات المتواترة عرضها ووجهها، ولم يغفل عن بعض القراءات الشاذة.

ومنه، فالثعالبي سلفي سني في منهجه وقراءته التي بناها على الانتقاء والترجيح والمناقشة أحسن فيها الإستفادة من سابقيه المفسرين.

كما أحسن الرد على الفرق المخالفة ليكون كتابه "الجواهر الحسان " كتابا تعليميا طبعه الإيجاز والتبسيط.

والثعالبي في آليات قراءته لم يستق من مدرسة، ولم ينتم لمذهب ولم يمل لاتجاه، إنه مدرسة أفادت من هؤلاء لغرض نشده فتراه يأخذ عن إبن عطية والطبري والثعلبي الروايات المأثورة ،وينشد في أبي حيان عن طريق الصفاقسي المسائل النحوية، والأحكام الفقهية عن إبن العربي والنسائم الصوفية عن أصحاب التفسير الإشاري وجهابذة اللغة.

هذا وبالرغم من إكتفاء الثعالبي وإفتقاره نوعا ما إلى عنصر الإبداع والتجديد إلا أننا نحيي فيه لمسة إبداع المحاولة والمنهج الذي يحتاج منا البحث والتنقيب والإفاضة خاصة في جانبه التعليمي الذي إختفى من شخصيته، فهو عالم قبل أن يكون رجلا دينيا مقلدا ومحافظا، لذا علينا أن نشد على أكفنا ونحي نهضة آلت إلى الركود بعدما طالت سماء السمو والارتقاء بدراسات نغني بها مكتباتنا المفتقرة والمتعطشة إلى هذا النوع من البحوث في شخصياتنا الدينية والعلمية التي غمرتها الظنون واللامبالاة، شخصيات تحتاج أن نهيل عليها وعلى نتاجها بهالة الإهتمام طبعا وتحقيقا ودراسة حتى نرد فضلا قليلا من إسهاماتها العظيمة في سبيل إحياء كرامة الجزائر، فللجزائر وما أدراك ما الجزائر أفذاذ وأعلام تستحق أن نناضل بقلمنا لأجلها.

تصحيح و تخريج الأحاديث الشريفة

الحديث الشريف	تخريج الحديث الشريف
"فو الذي تفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي و لينفذنّ الله أمره"	صحيح البخاري : كتاب الشروط : باب الشروط في الجهاد
"الحلال بيّن و الحرام بيّن و بينهما أمور مشتبهات لا يعلمهنّ كثير من الناس "عن النعمان بن بشير	صحيح البخاري و مسلم أفق 51 – العزو –52، كتاب البيوع .
"الإسلام علانية و الإيمان في القلب"	أخرجه الإمام احمد في المسند عن أنس .من كتاب الأحكام الشرعية الكبرى لعبد الحق الإشبيلي ، كتاب الإيمان
عن جرير بن عبد الله – رضي الله عنه – قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم :فنظر إلى القمر ليلة يعني البدر ، فقال :" إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته "	كتاب صحيح البخاري ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة العصر ، 529
حدثنا أبو معاوية ،عن حجاج ، عن مكحول ، قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من أخلص لله العبادة أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه"	رقم 6193 كتاب كنز العمال في سنن الاقوال و الأفعال لعلاء الدين علي المتقى بن حسام الدين الهندي
حثنا محمد بن المثنى قال حدثني عبد العزيز بن عبد الصمد حدثنا أبوعمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل ما يرون الأخرين يطوف عليهم المؤمنون و جنتان من فضة آنيتهما و ما فيهما و جنتان من كذا آنيتهما و ما فيهما و ما بين القوم و بين أن ينظروا إلى ربهم إلارداء الكبر على وجهه في جنة عدن "	صحيح البخاري رقم 4879 كتاب تفسير القرآن
عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لو كان الدين أو فى رواية لو كان الإيمان عند الثرايا لناله رجال من هؤلاء ."	صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة – ض– باب فضل فارس رقم 4747
عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " خلقت الملائكة من نور ، و خلق الجان من مارج من نار ، و خلق آدم مما وصف لكم "	صحيح مسلم الرقم 2996
عن أبي تعلبة الخشني جرثوم بن ناشر –ص – عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، و سكت عن أشياء – رحمة لكم غير نسيان – فلا تبحثوا عنها "	المحدث ابن القيم –المصدر : أعلام الموقعين .الجزء أو الصفحة الجزء الأول ص 221 أو في رواية الدارقطني كتاب شرح رياض الصالحين ج 6 ، رقم الحديث 1832، ص 642
عن أسماء بنت يزيد –رضي الله عنها– قالت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " ألا أخبركم بخياركم قالوا بلى قال	أخرجه أحمد ابن ماجة و الحكيم و الترميذي و ابن مردويه، الدر المنثور – جلال الدين السيوطي ج 3 ص 310 ، أومرقاة

خياركم الذين إذا رأوا ذكر الله"	المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (علي بن سلطان محمد القارئ)كتاب الآداب – حفظ اللسان و الغيبة و الشتم رقم 4871،4872
"و لو أن إمرأة من نساء اهل الجنة أطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما و لملأت ما بينهما ريحا و لنصيفها يعني الخمار خير من الدنيا و ما فيها)"	صحيح البخاري ، كتاب الرقاق باب صفة الجنة و النار رقم 699
حدثنا محمود بن غيلان قال : قال حدثنا بشر بن السّري قال حدثنا سفيان عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال رسول الله صلى اله عليه وسلم : "من قال في القرآن بغير علم فليتبوأمقعده من النار "	جامع السنة و شروحها ، أبواب تفسير القرآن رقم 2950
حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا المغيرة عن أبي الزناد عن الأعرج ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس ، فترده اللقمة و اللقمتان ،و الثمرة و الثمرتان ، قالوا فما المسكين يا رسول؟ قال : الذي لا يجد غنى يغنيه ، و لايفطن له فيتصدق عليه ، و لا يسأل الناس شيئا "	رقم الحديث 1729 صحيح مسلم : كتاب الزكاة ، باب المسكين
قال عمربن الخطاب " عليكم بديوانكم شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم و معاني كلامكم " –روي عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال " خرجت مرة فمررت بقبر من قبور الجاهلية فإذا رجل قد خرج من القبر يتأجج نارا في عنقه سلسلة من نار و معي إداوة من ماء ، فلما رآني قال : يا عبد الله اسقني ، إذ خرج على إثره رجل من قبر فقال : يا عبد الله لا تسقه فإنه كافر ، ثم أخذ السلسلة و اجتذبه ، فأدخله القبر ، فقال : ثم أضافني إلى بيت عجوز إلى جانب بيتها قبر فسمعت من القبر صوتا يقول بوا و ما بول شن و ما شن فقلت للعجوز : ما هذا ؟ فقالت : هذا كان زوجا لي ، و كان إذا بال لم يتق البول ،و كنت أقول له : ويحك إن الجمل إذا بال تفاج ، فكان يأبى و هو ينادي منذ يوم مات يقول : بول و ما بول ، قلت : فما الشن قالت : جاءه رجل عطشان فقال ، اسقني فقال دونك الشن فإذا ليس فيه شئ فخر الرجل ميتا فهو ينادي منذ أن مات شن و ما شن فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته فنهى أن يسافر الرجل وحده .	تفسير القرطبي سورة النحل الآية 47 عبد الله بن عمر مسند أحمد بن حنبل ، أفق 5498–5618

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

-الحديث الشريف

1-عبد الرحمن الثعالبي -الجواهر الحسان بأجزائه الأربعة تحقيق : عمار الطالبي / المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر

2-ابن العربي .(أبو محمد بن عبد الله ت 543هـ) ،أحكام القرآن .تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت .

3-ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي 1085هـ) ،شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، المكتب التجاري للطباعة و النشر و التوزيع .

4-ابن تيمية ، التفسير الكبير ، تحقيق و تعليق : عبد الرحمن عميرة ، ج2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1988م .

5-ابن عطية (القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بالأندلس 546هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1،

تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

6-أبو العباس أحمد بابا التنبكتي ، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ، درا الكتب العلمية .بيروت

7-أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي في القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري ،ج1،ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، ط2 ، 1985م.

8-أبو بكر الله المالكي ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و افريقية وزهادهم و نساكهم وسير من أخبارهم و فضائلهم و أوصافهم ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .1403هـ /1982- 1983م)

9-أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الأمم و الملوك ،ج4 ، توزيع دار الباز عباس أحمد الباز ، مكة المكرمة .

10- أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج4 ، دار المعرفة للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان

11-أبو عبد البر ، جامع بيان العلم و فضله ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

12-أبو عبد الله محمد الحمود النجدي ، القول المختصر المبين في مناهج المفسرين، دار الإمام الذهبي ، الكويت ،ط1،1417هـ -1996-1997م.

13-الزركشي ، أبو عبد الله بدر الدين ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق ،محمد أبو الفضل ابراهيم ،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، دمشق 1980م.

14- الطاهر المعموري ،جامع الزيتونة و مدارس العلم في العهد الحفصي و التركي ، الدار العربية للكتاب ، تونس 1980.

15-الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التوزيع ، الشركة التونسية و المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر .

16-القاضي عياض ،الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، ج2 ، دار الكتب العلمية بيروت

17-القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج1، دار الشعب ، القاهرة .

18-القشيري ، ابو القاسم عبد الكريم بن هوزان ، الرسالة القشيرية في علم التصوف ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

19-جلال الدين الرومي ، بين الصوفية و علم الكلام ، الدار المصرية اللبنانية ، ط1، 1987.

20-جلال الدين السيوطي .-الإتقان في علوم القرآن ،ج4، دار المعرفة ، مصر.

-طبقات المفسرين تحقيق ، علي محمد عمر ،مكتبة وهبة القاهرة ،ط1 1396هـ1976م.

21-خالد بن عنان ،م 2 ، دار ابن عفان ، المدينة المنورة ،1994-1995م

22-عامر السعد، التلقي والسياقات الثقافية، العراق، قطر.

23-عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، ج1، دار المعارف مكتبة الدراسات الأدبية.

24- عبد الرحمن الثعالبي:

-حقائق التصوف،مج، 14 دار الكتب الوطنية، تونس.

-الجواهر الحسان في تفسير القرآن،ج1،ج2،ج3،ج4، تح : عمار الطالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب.

25- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ، دار الثقافة، بيروت ، ط4 ، 1980.

26- عبد الرحمن المك ، أصول ا لتفسير وقواعده، م1 ، دار النفائس ط.2 ،9861 2. عبد الرحمن بن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد)،

- تاريخ ابن خلدون ج1،ج2، بيروت 1959.

-العبر وديوان المبتدأ والخبر،دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر 1978

- مقدمة إبن خلدون القاهرة، دار الشعب 1389ه.

27- عبد الرزاق دحمون، الشيخ عبد الرحمن وآراؤه الاعتقادية ، دار ابن حزم ، بيروت ط1. 2009.

28- عبد الرزاق قسوم ، عبد الرحمن الثعالبي والتصوف ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

29- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق محمد رشيد رضا، منشورات جامعة البعث. 1989.

30- عماد محمود عبد الكريم، حسن البنا ومنهجه في تفسير القرآن الكريم، دار التوزيع والنشر الإسلامية،القاهرة، مصر،.ط1 ،2004.

31- القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى،ج2، دار الكتب العلمية، بيروت.

32- القرطبي،الجامع لأحكام لقرآن،ج1،دار الشعب، القاهرة.

33- القشيري (أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان ت 465هـ)، الرسالة القشيرية في علم التصوف، دار الكتاب العربي، بيروت.

34- مالك بن نبي:

- الظاهرة القرآنية، دار الفكر دمشق سوريا ط4، 1984.

-الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ترجمة عمر مسقاوي، دار الفكر، دمشق. ط3، 1988.

-وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر السورية ، ط1

-مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة ،أحمد مكي، ط1 دار الفكر، الجزائر ،ط1 ، 1992.

-المدونة ج1،ج2، دار الفكر.

35- مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، بيروت 1963.

36- محمد أركون، الفكر الإسلامي، تر وتع :هاشم صالح،المؤسسة الوطنية لافوميك للكتاب، الجزائر.

37- .محمد الصالح الصديق ،هذا هو الإسلام ،دار البعث قسنطينة،1981.

38- محمد الغزالي:

-الجانب العاطفي من الإسلام،دار الكتب الحديثة،توفيق العفيفي، مطبعة السعادة ط1، 1961

-معركة المصحف في العالم الإسلامي، مكتبة رحاب 1963.

- كيف نتعامل مع القرآن، دار الإنتفاضة للنشر، الجزائر 1990

-ركائز الإيمان بين العقل والقلب، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1، 1972.

39- محمد الفاضل بن عاشور، التفسير ورجاله، دار الكتب الشرقية، تونس، ط2، 1972.

40- محمد المختار إسكندر، المفسرون الجزائريون عبر القرون، رواية ودراسة،ج1 ،مكتبة دحلب ،الجزائر.

41- محمد بن رزق بن طرهوني، التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا،ج1،،دار إبن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1 ،1426هـ

42- محمد بن لطفي الصباغ، بحوث في أصول التفسير،المكتب الإسلامي، بيروت ،ط1، 1989.

43- محمد بن محمد الأندلسي السراج، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1 ،1985.

44- محمد حسين الذهبي:

- التفسير والمفسرون،ج1، مكتبة وهبة، القاهرة

- علم التفسير، دار المعارف، القاهرة.

45- محمد حسين علي الصغير،المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1983.

46- محمد متولي الشعراوي، معجزة القرآن، تقديم وتخريج وضبط النص : ناصر إسماعيل محمد، دار الهدى، الجزائر2004.

47- مختار لزعر، التصور اللغوي في الفكر الاعتزالي، مقاربة تأويلية في مشكلات المعرفة، دار الأديب للنشر والتوزيع.

48- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن،مكتبة وهبة، ط17، القاهرة.

49- نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر.

50- وليد منير،النص القرآني من الجملة إلى العالم، القاهرة، ط1 ،1997.

51- يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن، جامعة قطر، مركز بحوث السنة والسيرة،الأردن،ط1، 1996.

قائمة الرسائل

1- باب العياط نور الدين، المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم، بنت الشاطئ، نموذج ماجيستر 2007/2006.

2- رمضان يخلف ، عبد الرحمن الثعالبي و منهجه في التفسير ،رسالة ماجستير إشراف د. مساعد مسلم آل جعفر ،السنة الجامعية 1991 – 1992 جامعة الأمير عبد القادر،معهد أصول الدين، قسنطينة .

3- فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة رسالة ماجستير، إشراف مصطفى مسلم.

4- محمد عبد الرحمن بيصار، منهج إبن عطية، تفسير رسالة عبد الوهاب فايد، الهيئة العامة لشؤون المطابع، القاهرة 1973.

المراجـــــــــــع الأجنبية :

Emile, dermengham, vie des saints, Musulmans, édition bacconier. Alger.

فهرس الموضوع

المقدمة ..... أ

الفصل الأول:التفسير في بلاد المغرب العربي بين النشأة وميلاد العلاّمة

- نشأة التفسير في منطقة غرب افريقيا..... 02
- إتجاهات التفسير بالمنطقة..... 06
- أثر التفاعل بين أهل المغرب وأهل المشرق في نتاج التفسير 17
- الفقه المالكي في المنطقة 21
- أثر القراءات في التفسير بالمنطقة..... 24
- الظروف السياسية و ميلاد العلّامة 29
- الحياة العلمية 33
- الحياة الاجتماعية والدينية..... 40
- الحياة الثقافية 43

الفصل الثاني: آليات قراءة الثعالبي في التفسير بالمأثور .

- التفسير– المنهج – القراءة..... 47
- التفسير بالمأثور 58
- قراءة الثعالبي للإسرائيليات في القرآن..... 83

- قراءته لآيات الأحكام..... 89
- القراءات في تفسير الثعالبي..... 92
- قراءته للنسخ في القرآن.....**94**
- قراءته للمتشابه في القرآن 96
- قراءته للفقه والأصول.....105
- قراءة الثعالبي للمواعظ والآداب.....106

الفصل الثالث : قراءة الثعالبي للمدارس الأخرى

- القراءة الصوفية 109
- موقف الثعالبي من التفسير الإشاري 113
- التفسير بالرأي 126
- أهم الموضوعات التي أهتم بها 135

الفصل الرابع: تأثر الثعالبي بمتقدميه(ابن عطية)

- مصادر تفسير الثعالبي..... 153
- بين الثعالبي وإبن عطية 156

الخاتمة.....171

قـــــائـــــمـــــة المصادر والمراجع.....174

ملخـص

لقد انتهج الثعالبي في ظل التداخلات الفكرية و الاجتماعية و السياسية التي طبعت الجو العام لبلاد المغرب العربي المنهج الأثري في التفسير مقدما تفسير القرآن بالقرآن ثم الثابت من السنة، مؤيدا موقف الجمهور في كثير من المسائل الاعتقادية، و مميزا بين الأحاديث الصحيحة و الضعيفة، كما صبغ منهجه بالمنزع الصوفي متأثرا بالنزعة الغزالية التي ذاع صيتها في عهد الموحدين.. ولئن اجتهد الثعالبي في بعض آرائه يبقى اجتهاده نقلا عن مفسرين سلف، لأن الدليل النقلي أقوى حجة عنده و أثبت بيانا، و الرأي مطية نحو الزلل و الضلال، و لا ضير في الاجتهاد في ما يتطلب استنباط الدلالات، ثم إنّ قراءة الثعالبي استقاها من عدة مصادر مشرقية و مغربية سيما المفسر المغربي ابن عطية الذي نقل عنه كتابه المحرر الوجيز و زاده فوائد جمة من ثقات الأئمة في التفسير، ليولد لنا كتابه الجواهر الحسان الذي بصم به بصمته في التفسير، و أعلن به معرفة المغاربة بعلم التفسير.

الكلمات مفتاحية:

القرآن الكريم؛ الجواهر الحسان؛ الثعالبي؛ تفسير؛ تأويل؛ الصوفية؛ الرأي؛ القراءة؛ المنهج؛ الحديث الشريف.

نوقشت 25 فبراير 2019